

ردمدا: ٤٥٨٦-٢٥٢١



الجملة العلمية المقتضية  
الهياتة العليا لحياء التراث

# الجملة

مجلة علمية نصف سنوية

تعنى بالتراث المخطوط والوثائق تصدر عن مركز احياء التراث

العدد الثامن عشر، السنة التاسعة، شهر صفر ١٤٤٧ هـ . ايلول ٢٥٠٢٥ م





# الحياة

مجلة علمية نصف سنوية

تعنى بالتراث المخطوط والوثائق تصدر عن مركز إحياء التراث

العدد الثامن عشر

السنة التاسعة، شهر صفر ١٤٤٧هـ . أيلول ٢٠٢٥م



العشبة العباسية المقدسة  
الهيئة العليا لإحياء التراث  
مركز إحياء التراث

العتبة العباسية المقدسة، الهيئة العليا لإحياء التراث، مركز إحياء التراث.  
الخرانة : مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث -  
كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، الهيئة العليا لإحياء التراث، مركز إحياء التراث، 1438 هـ . = 2017 -  
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم  
نصف سنوية. - العدد الثامن عشر، السنة التاسعة (أيلول 2025) -  
تتضمن إرجاعات ببليوجرافية.  
النص باللغة العربية ومستخلصات باللغة العربية والإنجليزية.  
ISSN: 2521 - 4586  
1. المخطوطات -- الدوريات 2. الدوريات العربية--العراق. أ. العنوان.

LCC: Z115.1 .A8378 2025 NO. 18

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

يمكن الإتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

للاطلاع على إصدارات مجلة الخرانة ومتابعة جديدها،

يُرجى مسح رمز QR أدناه:



الترقيم الدولي ردمد: ٢٥٢١-٤٥٨٦

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥

لسنة ٢٠١٧م

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

صندوق بريد: كربلاء المقدسة (٢٢٢)

سعر البيع

داخل العراق: \$10 - خارج العراق: \$15

## الإشراف العام

سماحة السيّد أحمد الصافيّ

## رئيس التحرير

السيّد ليث الموسويّ

## مدير التحرير

محمّد محمّد حسن الوكيل

## سكرتير التحرير

د. حسين هليب الشيبانيّ

## هيئة التحرير

د. علي حبيب العيدانيّ (تدقيق اللغة العربية)

د. عمار محمود الكعبيّ (التنسيق والمتابعة)

حسن عريبي الخالديّ (التنسيق والمتابعة)

## الإخراج الفنيّ

علي حسين علوان التميميّ

## الترجمة الأنكليزية

الشيخ حبيب آل زعتر / لبنان

## الهيئة الاستشارية

الأستاذ المتمرس الدكتور صاحب ابو جناح (العراق)

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتمرس الدكتور طارق عبد عون الجنابي (العراق)

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتمرس نبيلة عبد المنعم (العراق)

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين (المغرب)

مدير الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط

الأستاذ الدكتور سعيد عبد الحميد (مصر)

وزارة الآثار المصرية

الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيّات (تركيا)

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

الأستاذ الدكتور منذر علي المنذري (العراق)

كلية الآداب/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور وليد محمّد السراقبي (سوريا)

كلية الآداب/ جامعة حماة

الأستاذ الدكتور وليد محمود خالص (الأردن)

مجمع اللغة العربية /عمّان

الأستاذ الدكتور عباس هاني الجوّاح (العراق)

مديرية التربية/ محافظة بابل

الأستاذ المساعد الدكتور علي فرج العامري (إيطاليا)

كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة ميلانو بيكوكا

مكتبة الأمبروزيانا/ ميلانو

## شروط النشر

- تنشر المجلة البحوث العلمية والدراسات المتعلقة بالمخطوطات والوثائق، والنصوص المحققة، والمتابعات النقدية الموضوعية لها.
- يلتزم الباحث بمقتضيات البحث العلمي وشرائطه في الإفادة من المصادر والإحالة عليها، والأخذ بأدب البحث في المناقشة والنقد، وآلا يتضمن البحث أو النص المحقق مواضيع تثير نعرات طائفية أو حساسية معينة تجاه ديانة أو مذهب أو فرقة.
- أن يكون البحث غير منشور سابقاً، وليس مقدماً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهد مستقل بذلك.
- يكتب البحث بخط (Simplified Arabic) بحجم (١٦) في المتن، و(١٢) في الهامش، على أن لا يقل عن (٢٠) صفحة (A4).
- يُقدّم البحث أو النص المحقق مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدج (CD)، على أن تُرقم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً.
- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كل في صفحة مستقلة ويضمّ عنوان البحث، وأن لا يزيد الملخص على صفحة واحدة.
- تُراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة، بإثبات اسم المصدر، واسم المؤلف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، مع مراعاة أن تكون الهوامش مرقّنة بشكل مستقل في كلّ صفحة.
- يزود البحث بقائمة المصادر بشكل مستقل عن البحث، وتتضمن اسم المصدر أو المرجع أولاً، فاسم المؤلف، ويليه اسم المحقق أو المراجع أو المترجم في حال وجوده، ثم الطبعة، فدار النشر، ثم البلد الذي نُشر فيه، وأخيراً تاريخ النشر، ويُراعى في إعدادها الترتيب الأبجائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجالات، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية.

- تخضع البحوث لبرنامج الاستئلال العلمى ولتقویم سرى لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد إلى أصحابها سواء قُبِلت للنشر أم لم تُقبَل، على وفق الضوابط الآتية:
- يُبلِّغ الباحث أو المحقق بتسليم المادة المرسله للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسليم.
- يُبلِّغ أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعده المتوقع خلال مدّة أقصاها شهران.
- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة، ليعملوا على إعادة إعدادها نهائياً للنشر.
- البحوث المرفوضة يبلِّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كلّ باحث أو محقق نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه ببحثه، مع ثلاثة مستلّات من المادة المنشورة، ومكافأة مالية.

#### تراعى المجلّة في أولويّة النشر:

- 1- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.
  - 2- تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.
  - 3- تنوع مادة البحوث كلّما أمكن ذلك.
- البحوث والدراسات المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
  - تُرتّب البحوث على وفق أسس فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
  - يرسل المحقق أو الباحث الذي لم يسبق له النشر في المجلّة موجزاً عن سيرته العلميّة، وعنوانه، وبريده الإلكتروني؛ لأغراض التعريف والتوثيق، على بريد المجلّة الإلكتروني: [Kh@hrc.iq](mailto:Kh@hrc.iq)
  - لهيأة التحرير الحق في إجراء بعض التعديلات اللازمة على البحوث المقبولة للنشر.
  - تنتخب هيئة التحرير البحوث المتميّزة المنشورة في المجلّة وتكفّل بإعادة طباعتها بشكل مستقلّ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الْكَلِمَةُ

رئيس التحرير

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، وصل اللهم على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وعلى أهل بيته عليهم السلام مهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخران العلم.

وبعد: قال الله عز وجل في محكم كتابه الكريم: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، وعن النبي الأكرم عليه السلام أنه قال: «..ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت». وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين مرّ برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه، ثم قال: «يا هذا إنك تملّي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك».

من هذا المنطلق يتحتم على كل ذي قول أن يعلم مدى أهمية الكلمة التي تخرج من فيه، وما يترتب عليها من أثر دنيوي وأخروي، فالكلمة بذرة، والنفوس مزارع، ما إن تتخطى مكنونات الإنسان ويلهج بها اللسان أو ينطق بها البنان حتى تؤتي أثرها، وتنبت في نفوس الآخرين، فإن كانت طيبة فهي صدقة، وإن كانت خلاف ذلك فلا يحصد صاحبها ومجتمعه منها إلا الويلات.

ولذلك، فإن الشريعة المحمدية السمحة صدحت بهذا الأمر المهم، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٧٠)، فكان القول السديد من مقدمات التقوى التي هي مقدمة للصلاح والرشاد، فالالتزام بالقول المحكم المنيع الذي لا يتخلله لغو وفضول في الكلام من ضروريات البناء السليم لأي شخصية إنسانية مما ينعكس إيجاباً على محيطه وبيئته، وقد أكدت الآيات

القُرآنيّة المباركة أيضاً على ضرورة أن يكون الإنسان عالماً بما يقول، متثبتاً لما ينقل، مراعيّاً لحقوق الآخرين، مجانِباً للهوى، متمسكاً بالعروة الوثقى، ومُبصراً بنزغات الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥)

ومما لا ريبَ ولا شكَّ فيه أنّ الكلام المسطور لهو أشدّ وطئاً وأثقلَ قيلاً ممّا تتناقله الألسن، فحريٌّ بكلّ ذي مسكّة قلمٍ أن يراعي ما سبق، وأن يعلم يقيناً أنّ الكلمة أقوى سلاح قد يستخدمه أيّ عدو ضدّ من يعادي، ولذا ترى الشيطان -وهو أعدى أعداء الإنسان- أوسع جهده في سبيل أن تخرج ممّا كلمات -قولاً وكتابة- تُسعفه على ما استمهله الله له، وتؤازره في إبعاد الإنسان عن جادة الحقّ والصواب.

وعليه، فإنّنا ندعو الإخوة الباحثين والمشتغلين في تحقيق النصوص إلى عدم الخوض فيما لا نفع فيه ولا ضرر، والاشتغال بما فيه منفعة حقيقية ممّا يجدر أن تُصرف فيه سنوات العمر الثمينة، وأن يركّزوا جهودهم العلمية ويراعاتهم الكريمة على ما فيه رفعةٌ وعلوٌ للأمة الإسلامية وعلومها المجيدة التي جهد في إيصالها إلينا علماؤنا الماضون بعد أن ثابروا في تحصيل العلوم النافعة، وألزموا أنفسهم باتّباع المنهج الصائب في التّأليف والتحقيق، وراعوا في ذلك الأحقّ فالأحقّ، ولم يكن همّهم الكثرة بقدر ما أهمّهم إخراج الدرّ من مكنونه، وإيصاله إلى محبوبه من عشاق المعرفة ومريديها.

والحمدُ لله أولاً وآخراً.

## المحتويات

### الباب الأول: دراسات تراثية

السيد محمد حسين حميد نادر مراد الموسوي الحوزة العلمية في النجف الأشرف إيران	أبو الفتوح الرّازي وتفسيره روض الجنان وروح الجنان	١٧
أ.د. عمّار محمد النهار كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة دمشق سوريا	دراسة في كتاب (الفلاحة المنتخبة) ونسخه الخطية مؤلفه طيغا التّمامي تَمري (القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي)	٧٥
يوسف الهادي محقق وباحث تراثي العراق	جلال الدين منكريني ودوره في ترسيخ الوجود المغولي الغازي في العراق وما جاوره	١١٧
د. الغالي بنهشوم جامعة مولاي إسماعيل المغرب	الكتاب المخطوط من الورقي إلى الرقمي المكتبة الوطنية المغربية أمودجا	١٨٣
علي لفته العيساوي الهيئة العليا لإحياء التراث - العتبة العباسية المقدسة العراق	الشيخ محمد مهدي الفتوي العاملي التجفي (ت ١١٨٣هـ) حياؤه وإجازته وآثاره	٢٠٥
د. مدين حامد عبد الهادي محمود كلية الآثار - جامعة الفيوم مصر	هل مركب اللجين دور مانع لأكسدة أجبار العفص الحديدية وسليولوز المخطوطات الورقية؟ (دراسة تجريبية مقارنة)	٢٨٣

### الباب الثاني: نصوص محققة

تحقيق: أ. د. علاوي سادر جازع و د. علي حكمت فاضل محمد كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد العراق	رسالة في النسب السّتّ التي بين الحمد والشكر لمحمد السعيد بن محي الدين الجزائري (كان حيا سنة ١٢٧٨ للهجرة)	٣١٥
---	---	-----

وَقَايَةُ الْهِدَايَةِ  
تأليف: الشيخ عبد الوهّاب الشريف  
٣٣٣  
القزويني (ت ١٢٧٠هـ)  
تحقيق: الشيخ زهير الحليّ  
مركز إحياء التراث - العتبة العبّاسيّة المقدّسة  
العراق

إِحَارَاتُ السَّيِّدِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْجَزَائِرِيِّ  
تأليف: الشيخ محمّد لطف زاده التبريزيّ  
٣٦٣  
ت ١١١٢هـ) للمولّى محمّد قاسم  
باحث تراثي - الحوزة العلميّة في النجف الأشرف  
إيران  
(كان حيّاً ١٠٨٨هـ)

### الباب الثالث: نقد النّاتج التّراثي

نَطْرَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي كِتَابِ (نُزْهَةِ الْأَدْبَاءِ)  
٣٨٣  
وتُحْفَةٌ الظُّرْفَاءِ لِإِدْرِ الدِّينِ الدُّمَيْطِيِّ  
أ. د. عباس هاني الجراح  
مديرية تربية بابل  
العراق

### الباب الرابع: فهرس المخطوطات وكشافات المطبوعات

فَهْرَسُ مَخْطُوطَاتِ مَكْتَبَةِ الْأَدِيبِ  
٤٢٥  
الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ الْبَلَاغِيِّ / الْقِسْمُ  
الثَّالِثُ وَالْأَخِيرُ  
إعداد: صلاح مهدي السراج  
مدير مركز تصوير المخطوطات وفهرستها في  
العتبة العبّاسيّة المقدّسة  
تقديم: الدكتور سند محمّد عليّ البلاغيّ

كَشَافُ مَجَلَّةِ الرُّضْوَانِ  
٤٨٩  
علي عدّاي الحسنويّ  
مركز إحياء التراث - العتبة العبّاسيّة المقدّسة  
العراق

### الباب الخامس: أخبار التّراث

٥٧٧  
مِنْ أَخْبَارِ التُّرَاثِ  
هيئة التحرير



جَلالُ الدِّينِ مَنْكُبُرِنِي، وَدَوْرُهُ فِي تَرْسِيخِ  
الْوُجُودِ الْمَغُولِيِّ الْغَازِي فِي الْعِرَاقِ وَمَا جَاوَرَهُ

*Jalal al-Din Menguberdi and His Role in  
Entrenching the Mongol Invasions in Iraq  
and Adjacent Regions*



يوسف الهادي  
مُحَقِّقٌ وَبَاحِثٌ تَراثي  
العراق

*Yusuḡ al-Hadi*  
*Heritage Researcher*  
*Iraq*





## الملخص

منذ الورطة التي أوقع فيها الملك الخوارزمي علاء الدين محمد العالم الإسلامي بتحرّشه بالمغول عند ارتكابه مجزرة مدينة أترار أيام چنكيز خان، وما تلاها من مطاردة المغول له وهروبه أمامهم حتى وفاته بائساً شريداً، فُتح الباب واسعاً لجحافل المغول الهمجية لتجتاح مدن العالم الإسلامي، وخصوصاً أنّ جلال الدين الملقب منكبُرني (نجل علاء الدين) اتّبع سيرة أبيه فكان يهرب أيضاً من أمام مطارديه المغول؛ وكان هؤلاء قد استطابوا مطاردته حيث مكنتهم من اجتياح المدن الإسلامية بالتدريج، فغنموا الغنائم الهائلة واحتلوا المواقع الاستراتيجية واتخذوها قواعد ثابتة لهم في شتى البقاع، مما دمرّ أبناء شعوب المناطق المنكوبة بهم وبالهارب جلال الدين، وأضعف اقتصادياتهم وسحق نسيجهم الاجتماعي، وجعلهم في النهاية واهنين جداً في مواجهة الموجة المغولية الثانية بقيادة هولاكو الذي أسقط بسهولة الدولة العباسية العريقة، فأهلك العباد ودمّر البلاد.

## Abstract

Ever since the Khwarazmian King ‘Alā’ al-Dīn Muḥammad embroiled the Islamic world in catastrophe by provoking the Mongols through his massacre in the city of Otrar during Genghis Khan’s era -followed by the Mongols’ relentless pursuit of him, his flight before them, and his death as a wretched fugitive- the door was flung wide open for barbaric Mongol hordes to overrun the cities of the Islamic world. This was compounded by Jalāl al-Dīn (surnamed Menguberdi, son of ‘Alā’ al-Dīn) emulating his father’s conduct: he too fled from his Mongol pursuers. The Mongols relished this pursuit, as it enabled them to gradually invade Islamic cities, seize vast spoils, occupy strategic positions, and establish permanent bases across diverse territories.

This devastated the populations of regions afflicted both by the Mongols and by the fleeing Jalāl al-Dīn, crippled their economies, shattered their social fabric, and ultimately left them utterly debilitated in confronting the second Mongol wave under Hulagu. The latter easily toppled the Abbasid Caliphate, thereby annihilating lives and laying waste to lands.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تمهيد

قدّم المؤرخ ابن واصل تحليلاً رصيناً للسبب الذي سهّل على المغول هجماتهم على بلاد الإسلام واجتياحها، قال فيه إنه كان يوجد سدّ بين العالم الإسلامي والتتار أو المغول<sup>(١)</sup>، وهم شعب الخِطّا «وكان مُلك ما وراء النهر بيد الخِطّا<sup>(٢)</sup>، فانتزعتها خوارزم شاه منهم وقتلهم وأبادهم، فبذلك قويّ التتر على بلاد تركستان؛ لأن الخِطّا كانوا يحاربون التتر ويدفعونهم عن التطرُّق إلى هذه البلاد، وكانوا سدّاً بين الإسلام والتتر، فلمّا أبادهم خوارزم شاه ومَلَك ما وراء النهر، مَلَك التتر تركستان وأخذوا في الإغارة على أطراف بلاد خوارزم شاه»<sup>(٣)</sup>. وهذا ما يؤيده أيضاً ابن أبي الحديد بقوله: إن «السلطان محمد بن تكش استولى على بلاد ما وراء النهر، وقتل ملوكها من الخِطّا الذين كانوا ببخارى وسمرقند وبلاد تركستان نحو كاشغر وبلاساغون وأفناهم، وكانوا حِجاباً بينه وبين هذه الأمة [المغولية]، وشحن هذه البلاد بقوّاده وجنوده، وكان في ذلك غالطاً؛ لأن ملوك الخِطّا كانوا وقايةً له ومجنّاً من هؤلاء، فلما أفناهم، صار هو المتولي لحرب هؤلاء أو سلّمهم»<sup>(٤)</sup>.

أي أنّ خوارزم شاه الأب لو حسب المسألة بحساب الربح والخسارة لوجد أنّ وجود الخِطّا في الحدّ الفاصل بينه وبين التتار هو خير ضمان لدفع شرّ التتار عن حدود بلاده من غير أن يكلفه ذلك شيئاً<sup>(٥)</sup>، لكن شهوة التملُّك والاستحواذ على أكبر رقعة

(١) كانت قبيلة التتار واحدة من القبائل المغولية، وكان أفرادها الذين يعيشون في المناطق القريبة من حدود ولايات الخِطّا (الصين الشمالية)، قد بلغوا من الشهرة حدّاً أنّ دُعي باسمهم سائر المغول، وأصبحوا يعرفون بهم.

(٢) المقصود بالخِطّا هنا، القراخطاي الذين كانوا يقيمون في بلاد ما وراء النهر (ينظر: أطلس تاريخ الإسلام: حسين مؤنس: ٢٣٩).

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل: ٣٨/٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢١٩/٨.

(٥) يرى الباحث بوغرا في كتابه تاريخ تركستان الشرقية: ٣٦٠/١ - ٣٦١، أنّه منذ عهد القراخانيين

جغرافية وهوس إخضاع الملوك جميعهم كانت تهيمن عليه، برغم أن بعض أولئك الملوك والأمراء كانوا مثله يريدون توسيع رقعة ممالكهم، لكنه كان قادراً في بدء صعود نجمه على إخضاع كل من يتحرك باتجاهه.

ثم جاءت الواقعة المرعبة التي قتل فيها السلطان محمد خوارزم شاه (والد السلطان جلال الدين) أربع مئة وخمسين تاجراً مسلماً كانوا قادمين من بلاد چنكيز خان طمعاً بأموالهم<sup>(١)</sup>؛ مما أدى إلى أن يفكر المغول أول مرة في تاريخهم باجتياح المدن الإسلامية، ولما وجدوا الميدان خالياً من قادة يجتمعون يداً واحدة للدفاع عن أوطانهم تجرأوا ليغزوا العالم الإسلامي برمته. وكان فرار محمد خوارزم شاه أمام المغول سبباً لأن يلاحقه المغول، فحيثما لجأ إلى قرية أو مدينة يأتي هؤلاء وراءه فيجدون القوة العسكرية فيها ضعيفة أو خالية منها فيقتحمونها، فيهرب أمامهم تاركاً المدينة لأيدي المغول الذين يتخذون من تلك المدينة - التي لا علاقة لها بخوارزم شاه سوى أنه مر بها أو لجأ إليها يوماً أو يومين - هدفاً لهم فيقتلون وينهبون ويسبون النساء والأطفال ويرتكبون أبشع الجرائم، وحين يصل إلى المدينة الآتية يأتون خلفه ليمارسوا جرائمهم، وخلال ذلك كانوا يهاجمون المدن والقرى الأخرى التي يمرون بها مجتازين وهم في طريقهم نحو طريدتهم. وهكذا كان تحرك السلطان البوصلة المشؤومة التي تهدي الجيش المغولي الراكض وراءه إلى المدينة أو القرية القادمة التي سيجتاحها. أخيراً مات محمد خوارزم شاه شريداً حزيناً فقيراً وقد سلب المغول خزائنه التي كانت معه خلال فراره - بما

حتى عهد چنكيز خان كان البر الصيني كله وبالتحديد الصين الشماليّة والشمال الغربي محكوماً من قبائل الخطاي التركيّة؛ وأنّ القول بأنّ أقوام الخطا هم من الصينيين غير صحيح، والصحيح أنهم أتراك، وكانت شهرتهم في تركستان الشرقية ومنغوليا هي خطايلار، ولهذا السبب أيضاً كان الأهالي في تركستان الشرقية ومنغوليا يسمّون كل من يسكن داخل الصين باسم خطاي. وإنّ نسبة الخطا للصينيين في الوقت الحاضر هو من رواسب تلك الأخطاء السابقة.

(١) استناداً إلى ما يقوله ابن واصل في مفرج الكروب: ٣٩/٤، فإنه بعد قتلهم أرسل جواسيس ليخبروه بما لدى چنكيز خان من قوة، وحين عادوا «وأخبروه أنهم عددٌ يفوق الإحصاء، وأنهم من أصبر الناس على القتال، فندم خوارزم شاه على قتل من قتل من تجارهم وأخذ أموالهم، ووقع في فكر عظيم».

فيها أموال التجار المسلمين المسالمين الذين قتلهم ظلماً وعدواناً - كما سلبوه زوجاته وبناته، وأسروا جميع المغنّيات والراقصات اللواتي كان يأخذهنَّ معه لأنَّسِه وطربِه حيثما توجَّه وفي أشد المعارك احتداماً<sup>(١)</sup>.

### قيادة جديدة وهروب جديد

ثمَّ تسلَّم نجلُه جلال الدين منكبُرني قيادة مَن بقي من الجيش الخوارزمي، وكان الحرِّيُّ به أنْ يلجأ إلى صيغة يجمع بها الجيوش ببذل الأموال وشراء القلوب بالمعروف ليواجه المغول في المناطق التي كانت فيها مملكة أبيه، لكنه كرَّر الخطأ الكارثي نفسه الذي ارتكبه أبوه حين ظلَّ يهرب أمام الجيوش المغولية ممَّا تسبب في ملاحقتهم له وتدميرهم البلاد وقتلهم العباد.

كان مثل أبيه في إثارته عداة الملوك ضدَّه بتصرفاته، يقول ابن الأثير: «كان سيِّئ السيرة قبيح التدبير لمُلْكِه، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلَّا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته: فمن ذلك أنه أول ما ظهر في أصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان، فحصر مدينة شستر - وهي للخليفة -، وسار إلى دقوقا فنهبها وقتل مَن فيها فأكثر، وهي للخليفة أيضاً. ثم ملك آذربايجان وهي لأوزبك، وقصد الكُرْج وهزمهم وعاداهم. ثم عادى الملك الأشرف [الأيوبي] صاحب خلاط، ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم، وعادى الإسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فأكثر وقرَّر عليهم وظيفة من المال كلَّ سنة، وكذلك غيرهم، فكلُّ من الملوك تخلَّى عنه ولم يأخذ بيده»<sup>(٢)</sup>.

واستناداً إلى ما يقوله دولتشاه، فإنَّه بعد المعارك القليلة التي واجه بها المغول وقتلهم ببسالة في الهند، وألحقوا به وبجيشه هزيمة قاسية حتى إنه لم يبقَ معه سوى سبعين مقاتلاً، فرَّ من أمامهم، وحين صادف قافلة للأفغان بادر إلى نهبها «فوجدَ في ذلك شيئاً من القوة والسلاح»، وفي المنطقة نفسها انضمَّ إلى جيشه ٤٠٠ من الأفغان،

(١) ذكرنا ذلك في بحث سابق لنا عنوانه «الشرارة التي أشعلت نيران الغزو المغولي للعالم

الإسلامي»، نُشر في مجلة الخزانة، العدد ١٤، السنة ٧، محرم ١٤٤٥ هـ - آب ٢٠٢٣ م.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٩٦/١٢؛ ومفرج الكرب: ٣١٦/٤ - ٣١٨.

ومن هناك اتجه إلى الملتان<sup>(١)</sup> حيث استطاع إقامة علاقة طيبة مع حاكمها الذي زوجه بابنته، ومكث في بلاد الهند حاكماً ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وعندما بلغته أنباء وصول چنكيز خان إلى صحراء القباچاق، توجه إلى كرمان، ومن هناك ذهب واستولى على أصفهان وعراق العجم وآذربايجان؛ وقد أنعش تحركه هذا الآمال بالتخلص من الهيمنة المغولية، فقام الناس في بلاد خراسان وعراق العجم بقتل الشحاني<sup>(٢)</sup> الذين نصبهم المغول في تلك البقاع وصلبوا جثثهم وأحرقوها، وقد حكم جلال الدين في إيران عدة سنوات بالعدل والإنصاف<sup>(٣)</sup>.

في آخر معركة طاحنة واجه فيها جلال الدين ببسالة عساكر چنكيز خان على ضفاف نهر السند سنة ٦١٨هـ، وأبدى فيها ضروب الشجاعة، لكنه لم يتمكّن من دحرهم ممّا اضطره إلى الانسحاب من الميدان؛ وحين رأت والدته وزوجته وحرمه أنهم سيقتنّ بأيدي المتوحّشين المغول، توّسلن إليه أن يقتلهنّ ولا يدعهنّ يصبحنّ أسرى للمغول، فأمر بهنّ فغرّقنّ في نهر هناك<sup>(٤)</sup>؛ واستناداً إلى رواية رشيد الدين فإنه قتل جميع أبنائه الذكور حتى الرضع منهم، كما قام باللقاء جميع كنوزه ومدّخراته من النقود الذهب والجواهر والحليّ في نهر السند<sup>(٥)</sup>.

يلخصّ جون مان هذه المعركة الخطيرة فيقول: «كان جلال الدين مختلفاً كثيراً عن أبيه؛ فقد حشد القوات التي بقيت على قيد الحياة وتراجع جنوباً إلى أفغانستان (في

- (١) الملتان: «المدينة العظيمة التي في أعلى رافد من روافد السند وهو السندروذ» (بلدان الخلافة الشرقية، لسترنج: ٣٦٩). وهي من مدن باكستان الحالية.
- (٢) جمع شحنة، في تكلمة المعاجم العربية، دوزي: (شحن): «الحاكم أو من يتولى أمر الشرطة في المدينة والرئيس والقيم والوكيل...، يقول ابن جبیر: كان الشحنة في المشرق يتولى ما كان يتولاه صاحب الشرطة في الأندلس، ويقول ابن بطوطة: إنه كان الحاكم ورئيس الشرطة».
- (٣) ينظر تذكرة الشعراء، دولتشاه السمرقندي: ١٤٦.
- (٤) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبزني، النسوي: ١٠٣؛ نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التاتارية، أبو شامة: ١٢٨؛ وينظر التاريخ الصالحي، ابن واصل: ٢٩٨/٢.
- (٥) ينظر جامع التواريخ (تاريخ مبارك غازاني)، رشيد الدين الهمذاني: ٤٧١/١ - ٤٧٢.

الوقت الحاضر)، بعدما طارده چنكيز<sup>(١)</sup>. وفي ربيع العام ١٢٢١م/٦١٨هـ، في پروان (Parvan) شمال كابول مباشرةً، ألحق أول هزيمة عانى المغول منها في هذه الحملة العسكرية...، وواصل جلال الدين القتال في محاولة منه للحفاظ على بؤرة للمقاومة، حتى عندما تراجع لمسافة ٤٠٠ كيلومتر أخرى عبر هندوكوش ونزولاً عبر ممر خيبر إلى سهول الهند الشمالية الخائفة، حتى حوصر بين الهندوس والمغول المتقدمين؛ وتلك كانت نهاية جيشه، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لجلال الدين نفسه<sup>(٢)</sup>. ثم ينقل بعد ذلك رواية الجويني الذي تحدّث عن هذه المعركة وعن الشجاعة التي أبدتها جلال الدين في الميدان حتى بعد هزيمة جيشه، ثم كيفية افتتاحه النهر (نهر السند) بفرسه فوصل إلى الضفة الآخر بحركة أدهشت چنكيز خان ومن معه وجعلته يتّجه إلى أبنائه ليقول: «ينبغي للأبأ أن يكون لهم مثل هذا الابن»<sup>(٣)</sup>.

ولما رأى عدم قدرته على قتال المغول وتدميرهم، لجأ إلى الهروب من أمامهم بمن معه من مقاتلين؛ وبذلك قام بالدور نفسه الذي قام به أبوه من قبل، أي أصبح البوصلة المرشدة لتحركات المغول في البقاع الإسلامية «فكان كلّمًا رحل عن منزلة، نزلوها»<sup>(٤)</sup>، إنها المأساة التي جاء بها هذا الهارب الخوارزمي وجيشه فوزع أحزانها وكوارثها على شعوب بائسة لم تكن لها أية علاقة بطموحاته ولا بطموحات أبيه من قبل؛ وهكذا كان المغول يطاردونه وهو يفرُّ أمامهم ويقاتلهم أحياناً وقد انتصر عليهم في بعض المعارك، لكنهم واصلوا مطاردته عبر الأراضي الإيرانية وأرمينيا، ثم أراضي بلاد الشام، ثم قرب المدن والقرى العراقية في شمالي العراق نزولاً إلى القرى المجاورة لبغداد نفسها، حيث أصيبت هذه المدن والقرى بما كانت تصاب به مثيلاتها فيما وراء النهر وإيران على أيدي المغول من قتل سكانها وسبي الباقين منهم وتدميرها. لنأخذ مثلاً من آخر

- (١) إذاً هو لم يختلف عن أبيه؛ فأبوه كان يهرب من المغول وظلوا يطاردونه حتى وفاته، وجلال الدين أيضاً أمضى حياته هارباً منهم وكانوا يطاردونه حتى وفاته.
- (٢) چنكيز خان، الحياة والموت والانبعاث، مان: ١٩٢.
- (٣) تاريخ جهانگشا، الجويني: ١٤٢/٣. وقد حُصت الصفحات ١٣٦ - ١٤٣ للكلام على هذه المعركة؛ و تنظر تفاصيل آخر في جامع التواريخ (تاريخ مبارك غازاني): ٤٦٩/١ - ٤٧١.
- (٤) كما يقول الأشرف الغساني في العسجد المسبوك: ٣٧٤.

سنة تعقبه المغول فيها (٦٢٨هـ) برواية معاصره سبط ابن الجوزي:

جاؤوا للبحث عنه في مدينة تبريز فانهزم منهم إلى ديار بكر.

وصل مدينة آمد فلم يفتحوا له الباب ورموه بالحجارة من أعلى سورها<sup>(١)</sup>.

غادر إلى الجبال القريبة فوصل إلى قرية من قرى ميفارقين وجاء التتر فسألوا عنه فقال حاكمها إنه لا يعلم أين هو؛ فحاول المغول اقتحام المدينة لكنهم عجزوا عن ذلك بعد قتالهم سگانها أياماً.

غادر المغول إلى مدينة قريبة هي إسعد فقتلوا نيئفاً وعشرين ألفاً، وأخذوا من البنات المستحسنات ما أرادوا وأخربوها وعادوا إلى خلاط<sup>(٢)</sup>. ويقول ابن الأثير إن أهل مدينة إسعد قاتلوهم فأعطاهم التتر الأمان فوثقوا بهم «واستسلموا، فلما تمكّن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم، فلم يسلم منهم إلا من اختفى وقليل ما هم»<sup>(٣)</sup>.

سنجد الآن أنّ ما كان يقوم به الجيش الخوارزمي بقيادة جلال الدين منكبرتي نفسه من جرائم وانتهاكات بحق المدنيين مسلمين وغير مسلمين؛ جعل سگان هذه المناطق فريسةً بين فكي كماشة أطبق بها المغول الوثنيون عليهم من جانب والخوارزميون المسلمون من جانب آخر، فذهبوا ضحايا سيوف الاثنيين.

في حوادث سنة ٦٢٢هـ يقول ابن كثير: «فيها عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه»<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن الأثير: «فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الأمير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظاً لها وأميراً عليها - فحصره جلال الدين وضيق عليه، فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط، وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا إلى بادرايا وباكساي»<sup>(٥)</sup>

(١) ينظر آثار البلاد، زكريا القزويني: ٤٩٢.

(٢) ينظر مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي: ٥٥/١٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤٩٩/١٢؛ وينظر العسجد المسبوك: ٤٤٥.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠٥/١٣.

(٥) ذلك يعني أنهم أصبحوا على مشارف بغداد، فبادرايا بليدة بقرب باكساي بين البنديجين (مندلي

وغيرهما، وانحدر بعضهم إلى ناحية البصرة فنهبوا هنالك، فسار إليهم شحنة البصرة وهو الأمير ملتكين فأوقع بهم وقتل منهم جماعة، فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل<sup>(١)</sup>. يقول ابن نزييف المؤرخ المعاصر لوقائع تلك الحقبة عن الغزوة نفسها: «دخل العراق ونَهَبَ وَقَتَلَ وَسَبَى، وكان قد شارف بغدادَ. أقام على قرب بغداد ثمانية عشر يوماً. وكان الخليفة الناصر لما علم بوصوله سَيَّرَ الْفُدْنَ<sup>(٢)</sup> إلى الأرض التي تحقَّق وصوله منها فحرثها وقلَّبها بحيث لا يبقى لدوابِّهم ما تأكله؛ فهذا كان سبب عَوْدِهِ عن قصد بغداد. ووصل إلى دقوقا<sup>(٣)</sup> فأخذها وخرَّبها وقتل جميع أهلها، وانتقل إلى البوازيج<sup>(٤)</sup> [ف]أخذ أموالهم وأطلقهم، وأخذ خمسة عشر ألف فدان وسيَّرها بفلاحيتها إلى بلاده؛ وهذا الأسلوب استخدمه المغول في غزواتهم، حيث كانوا يقتلون السكَّان أو يأسرونهم لغرض بيعهم؛ أمَّا الحرفيُّون وذوو المهارات فكانوا ينقلونهم إلى بلادهم ليعمروها. ثم وصل إلى الزاب فخاف صاحب إربل (أربيل الحالية) فهاداه وحمل إليه وكتبه وحلف له، فعاد عنها ونزل بمروج شهرزور وتوجَّه إليه عماد الدين زنكي بن أتابك، وقدَّم ووَعَدَهُ بالموصل وعاد من عنده»<sup>(٥)</sup>.

ويلخِّص ابن كثير ما فعلوه في تلك السنة بأنهم جاؤوا «إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه»<sup>(٦)</sup>.

المؤرخ البناكتي يذكر أمراً مهماً، وهو «أنَّ جلال الدين اتَّجَه إلى بغداد متصوراً أنَّ الخليفة سيستعين به لدفع الأعداء، ثم أرسل إليه رسولاً يُعلمه بوصوله قريباً من

الحالية من توابع محافظة ديالى) ونواحي واسط (ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤٥٩/١).

(١) الكامل في التاريخ: ٤٢٥/١٢ - ٤٢٦.

(٢) جمع فدان، جاء في لسان العرب (فدن): «الْفَدَان: الثوران اللذان يُقَرنان فيُحَرث عليهما».

(٣) هي مدينة داقوق الحالية، من توابع محافظة كركوك.

(٤) البداية والنهاية: ١٣/١٢٤. البوازيج: «بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ويُقال لها بوازيج الملك، لها ذكر في الأخبار والفتوح، وهي الآن من أعمال الموصل» (ينظر معجم البلدان: ٧٥٠/١).

(٥) التاريخ المنصوري، ابن نزييف الحموي: ١٠٩ - ١١٠، وقدَّم: قدَّم له الهدايا والتحف، وشهرزور جزء من محافظة السليمانية الحالية في شمال العراق.

(٦) العسجد المسبوك: ٣٧٤؛ ومفرج الكروب: ٣١٦/٤.

بغداد؛ لكن الخليفة ونظراً لتأثره مما قام به أبو جلال وجده، أرسل جيشاً لطرده من المنطقة<sup>(١)</sup>، وذلك بأن استعمل معه سياسة الأرض المحروقة، فقد «بعث أبقاراً كثيرة فحرثت المراعي التي في طريقه وقُلبت الزراعات؛ ولما وصل خوارزم شاه إلى أطراف العراق لم يجد مرعى»<sup>(٢)</sup>.

### أوهام في فهم النصوص

عقب غارة جلال الدين على المناطق القريبة من بغداد، وعند حلول الربيع قرّر التوجّه إلى آذربايجان، حيث يقول النسوي: «وحين كُشِفَ عن وجه الربيع قناع الشتاء، رحل من نواحي بغداد نحو آذربايجان، فلما أشرف على دقوقا، صعد أهلها السور فصرّحوا بالشتائم، لما بلغهم من شنه الغارات على بلاد الديوان<sup>(٣)</sup>؛ فأغاظه ما أسمعوه، فأمر بالزحف عليها، فلم تكن إلاّ حملة واحدة حتى صعدت الأعلام، وترادف الزحام، ووضعوا في أهلها السيوف، فإلى أن نودي بالكف هلك خلق كثير»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يدوّن مؤرخ البلاط هذا انتصاره على مواطني مدينة داقوق الذين لم يكونوا مقاتلين، ويتباهى برفع أعلامه على سور المدينة وارتكاب مجزرة بحقهم لأنّ جمعاً منهم شتموه؛ وهو عملٌ مشين لا يشرّف أحداً، حيث كانت عقوبة من يسبّ الأمير الإعدام، بل إننا نجد الدكتور صبرة تنسب إلى النسوي كلاماً لم يقله: «النسوي يذكر أنّ توجّه جلال الدين إلى الأراضي العراقية كان من أجل قضاء فصل الشتاء<sup>(٥)</sup> بهذا البلد، بل إنه لم يعتد على هذه الأراضي التابعة للخلافة وإنما أرسل مبعوثاً من قبيله للخليفة

(١) روضة أولي الأبواب في معرفة التواريخ والأنساب، البناكتي: ٣٧٩.

(٢) التاريخ الصالحي: ٢٩٨/٢.

(٣) أي أنّ سكان مدينة داقوق العراقية الحالية كانوا قد سمعوا بغارات السلطان جلال الدين على الأراضي التابعة لديوان الخلافة العباسية، فصعدوا إلى سور مدينتهم لدى مرور جيشه وشتموه وجيشه نصرته منهم لخليفتهم، وإظهاراً لإدانتهم انتهاكاته بحق المدنيين.

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ١٣٢؛ ونزهة المقلتين: ١٤٦؛ و ينظر: التاريخ الصالحي:

٢٩٨/٢؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي: ٦٣٣/١٣.

(٥) هكذا فهمت الدكتور عفاف من قول النسوي: «وحين كُشِفَ عن وجه الربيع قناع الشتاء»، والصواب هو أنّ الشتاء كان قناعاً يغطي وجه الربيع، فلما كُشِفَ، ظهر الربيع.

الناصر ليوضح له المواقف والخلافات السياسية بين الطرفين<sup>(١)</sup>. كيف لم يَعْتَدِ؟ فضلاً عن إزهاقه الأرواح البريئة في مجزرة داقوق المرّوعة، ألم يك ذلك اعتداءً على مدينة تابعة لحكم الخلافة العباسية؟

كيف لم يَعْتَدِ على الأراضي العراقية وقد جاءها غازياً ووصل إلى أطراف بغداد نفسها «وَنَهَبَ وَقَتَلَ وَسَبَى» كما قال النسويّ ومعاصره ابن نظيف؟ ولو لم يستخدم الناصر سياسة الأرض المحروقة لما غادر جلال الدين المنطقة.

ومع ذلك فإنّ غياث الدين (شقيق جلال الدين)، جاء إلى بلاد فارس - وهي مجاورة للعراق - وارتكب الجرائم بحق أهلها ونهبها، وحين غادرها وتحرك صوب العراق وأصبح في إحدى قرى بغداد، بادر القائد العسكريّ التابع للخليفة العباسيّ الذي لم تكن لديه القوة الكافية لمجاботه على ما يبدو، إلى الانسحاب أمامه «ظناً منه بأنه يسلك بها مسلكه بفارس: نهباً وإحراقاً، وسفكاً وإرهاقاً»، كما يقول النسويّ الذي زاد إلى ذلك قوله: إنّ غياث الدين لم يتعرض لبغداد بشيء «محافظةً على الأدب، ومراعاةً لما فرض الله من الطاعة ووجوب»، أي أنه احترام الخليفة الذي فرض الله طاعته. وقال النسويّ أيضاً: إنّ الخليفة آنذاك استعدّ لمواجهة بأن جمع جيشاً من أربيل وبلاد الجزيرة وديار بكر وربيعة<sup>(٢)</sup>. وواضح أنّ هذا هو السبب الذي دعا غياث الدين إلى عدم مهاجمة بغداد وليس المحافظة على الأدب، ولا مراعاة الطاعة.

وكان من حقّ الخليفة الناصر أن يتوقع هجوم غياث الدين وجلال الدين نجلي السلطان محمد خوارزم شاه على بغداد وإسقاط الخلافة، فقد سبقهما إلى هذا العمل جدهما تكش الذي جاء بجيشه لغزوها، لكن موته وهو في الطريق إليها حال دون ذلك<sup>(٣)</sup>، كما قام أبوهما بالعمل نفسه وحشد جيشاً جرّاراً توجه به نحو بغداد، وبلغ من ثقته بنفسه بأنه سينتصر أنه قسّم نواحي بغداد إقطاعاً على كبار أمرائه وقادة جيشه وهو ما يزال في الطريق المتجّه إليها، لكن نزول الثلوج بكثافة في عقبه أسد

(١) التاريخ السياسيّ للدولة الخوارزمية، صبرة: ٢٢٢.

(٢) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٩٧.

(٣) ينظر: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، ابن أبي عذبية: ١٠٨.

آباد وهلاك الآلاف من أفراد جيشه وخيولهم حالت دون تحقيق هدفه وعودته خائباً<sup>(١)</sup>؛  
وجميع هذه الغزوات تمت في عهد الخليفة الناصر.

وخلال كلام الدكتور صبرة على هجوم جلال الدين على بلاد الكرج - الذين عرفوا  
بشأنهم الغارات على أراضي المسلمين - وانتصاره عليهم: «كان همُّ جلال الدين منكبرتي  
الأكبر - وهو أحد قادة العالم الإسلامي - هو توطيد نفوذ دولته الذي ولى، وتأديب  
هذه الدولة وتعويض المسلمين ما فاتهم، ليردَّ إليهم شيئاً من كرامتهم رغم ما درج  
المؤرخون عليه من وصف جلال الدين من أنه كان قائد قوة انتهكت أراضي المسلمين  
وحُرَماتهم»<sup>(٢)</sup>.

ولو أنّ الدكتور عفاف قرأت ما كتبه النسوي وزير السلطان جلال الدين ومؤرخ بلاطه  
بتمامه عمّا فعله بشعوب المناطق التي دخل مدنها وقرائها لرأت ما يهولها ولما كتبت  
الكلام الذي كتبه؛ فقد أزهق هذا السلطان أرواح الآلاف من الأبرياء من مسلمين وغير  
مسلمين، وانتهك أعراض بناتهم ونسائهم وسباهنَّ ليصبحن سلعة في أسواق النخاسة.  
وكان جيش شقيقه غياث الدين بلاءً على المدن التي دخلها، ومن ذلك هجومه على  
مدن إصطخر وشيراز من مدن إقليم فارس، ثم أرسل أحد قادته فاقتحم بجيشه مدينة  
كازرون «فاستولى عليها وسبى الذراري وهتك الحرم، وأحلَّ بأهلها النقم»، وكان بها قبر  
الزاهد المعروف أبي إسحاق الشيرازي الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره،  
وكان فيه خزانة اجتمعت فيها «على مرَّ الدهور، أموال جمّة وتُدور»، فنهبها وحولها  
إلى حساب الخاس<sup>(٣)</sup>، أي أنّ الموتى أيضاً لم يسلموا من شرّ الخوارزمية هؤلاء، ولذا قال  
ابن الأثير عن وجود العساكر الخوارزمية في أصفهان على عهد السلطان تكش جدّ جلال  
الدين هذا، إنّ أهل أصفهان كانوا يكرهونهم<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٢٥؛ و نزهة المقتلين: ٦٢.

(٢) التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية: ٢٢٧.

(٣) فصل أخبار هذه الغزوات النسوي في سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٩٦؛ وأبو شامة في  
نزهة المقتلين: ١٢٤.

(٤) ينظر الكامل في التاريخ: ١١٧/١٢.

## كؤوسٌ للخمر وللدماءِ

مثلاً أولع سلاطين الأسرة الخوارزمية بدماء الخلق الذين يجدونهم في القرى والمدن التي يقتحمونها، أولعوا كذلك بالخمر يكرعونها بغير حساب، وأدّى سكرهم أحياناً إلى ارتكاب جنایات وأخطاء وخطايا لا يمكن تلافيتها، فقد حدث مرةً أن كان التتار قريبين من أصفهان سنة ٦٢٤هـ، وكان جلال الدين وشقيقه غياث الدين يستعدان بجيشيهما لمواجهتهم، فسكر غياث الدين ليلةً وكان معه نديمٌ لجلال الدين، وعندما لعبت الخمر برأسيهما تجادلا حول أمرٍ ما فغضب غياث الدين وتبع النديم إلى داره فقتله؛ فتأثر جلال الدين وحزن حزناً جنونياً بالغاً حتى إنه أمر أن تُمرر جنازة القتيل على باب دار غياث الدين مرّتين لإرهابه، فعاش خائفاً مرعوباً إلى أن وقف هو وشقيقه بجيشيهما في مواجهة التتار، فاغتنم الفرصة وهرب بمن معه وترك أخاه جلال الدين وحده في الميدان<sup>(١)</sup>.

لقد ثبت لدينا أن الخوارزمية وسلطانهم كانوا ينقلون الخمر معهم خلال تنقلاتهم، فقد وجدناهم عندما وصلوا إلى القرى المحيطة بحلب كما سنرى وأسروا بعض العساكر السوريين، انطلقوا في المساء فسكروا وبدأوا بذبح بعض الأسرى؛ فمن أين جاؤوا بالخمر وهم قد نزلوا نهاراً بجوار تلك القرية؟ وحين أقام سلطانهم جلال الدين مخيمه بجوار جسر قريب من مدينة آمد في الليلة الأخيرة قبل هجوم المغول عليه في خيمته، دعا بالخمر وشرب بجنون. فمن أين جاء بالخمر وقد نزل للتوّ في موضع غير مأهول؟ وسنفضّل كل ذلك.

## كارثتان تطارد إحداهما الأخرى

شكّل وجود جلال الدين - بعد اصطدامه بالمغول وهروبه من حدود بلاده - عبئاً مدمراً على الشعوب والمدن التي مرّ بها أو لجأ إليها، لكون المغول ظلّوا يطاردونه وينزلون النكبات بتلك المناطق والمدن؛ هذا فضلاً عمّا ارتكبه جنوده هو من جرائم بحقّ سگان تلك المدن من شتى القوميات والأديان. ومنذ ذلك الحين لم يكن هناك

(١) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبزني: ١٦٥ - ١٦٧؛ و نزهة المقلتين، ١٨٤ - ١٨٥؛ ومجمل التواريخ، الفصيح الخوافي: ٧٨٠/٢.

فرق في الكوارث التي نزلت بالشعوب والمدن التي مرَّ بها كلا الجيشين الخوارزمي المسلم والمغولي الوثني؛ ولن تجد فرقاً في تعاملهما القاسي مع القرى والمدن التي كان يمرُّ بها، سواء أكان سگانها مسلمين أم مسيحيين. بل إنَّ بعض المؤرخين قالوها صريحةً مدويةً بأنَّ ما أنزله بالمسلمين من فظائع وبشاعات وانتهاكات فاق حتى ما ارتكبه المغول؛ حتى قال سبط ابن الجوزي فيه: «وكم فتكٌ وقتلٌ من المسلمين وسبى، وزالت أيامه، وبقيت آثامه؛ وكان كثير الفساد للعباد والبلاد»<sup>(١)</sup>، وقال ابن واصل عن استباحته مدينة داقوق التابعة لمدينة كركوك: «فَنَهَبَهَا وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ وَجَدَ فِيهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَفَعَلَ مِنَ الْإِفْسَادِ وَسْفِكِ الدَّمَاءِ أَعْظَمَ مِنْ فِعْلِ التُّرْتَرِ الْكُفَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

### المعاصير ومحاكم التفتيش

عُرف عن الأتراك الخوارزميين قسوتهم مع مواطني المدن والقرى التي يقتحمونها من مسلمين وغير مسلمين، وتطبق عليهم صفات الجنود المرتزقة سواء أقاتلوا تحت لواء سيدهم جلال الدين أم تحت ألوية الملوك المتصارعين في المنطقة من أيوبيين وغيرهم ممَّن كانوا يستأجرونهم بالأموال ويغرونهم بالسماح لهم باستباحة المدن والقرى، يقول عالم الاجتماع الفرنسي غاستون بوتول في وصف الجنود المأجورين (المرتزقة): «كانت غزواتهم ضارية دامية تنصبُّ على السكان المدنيين وحدهم فتمهر في سلبهم وطلب الفدية وردَّهم عبداً، إلخ...»<sup>(٣)</sup>؛ ولم يتورَّع الخوارزميون عن استخدام شتى وسائل التعذيب بحق ضحاياهم من المدنيين والعسكريين ليعترفوا بالأماكن التي يُخفون فيها أموالهم ومدَّخراتهم أو جلب فدية، فنجدهم عند دخولهم شيراز سنة ٦٢١ بقيادة غياث الدين شقيق جلال الدين يمسون شخصاً عالماً فقيهاً قال جنيد الشيرازي في ترجمته: «انزوى في بيته ثلاثين سنة ما خرج إلا لأداء الجمعة أو صلاة ميت، وما تكلم إلا بالحق ولا سُمع منه إلا الصواب»، ثم قال: «إنَّ الأتراك لمَّا دخلوا شيراز في زمن ابن خوارزم شاه، عذَّبوه بأنواع العذاب حتى مات»<sup>(٤)</sup>، وهذا يعني أنهم

(١) مرآة الزمان: ٥٩/١٥.

(٢) مفرج الكرب: ٣١٦/٤.

(٣) هذه هي الحرب، بوتول: ٩٥.

(٤) شدُّ الإزار في حطِّ الأوزار عن زوَّار المزار، جنيد الشيرازي: ١٥٣ - ١٥٤.

اعتقدوا أنّ لديه مالاً أو ذهباً يخفيه فعذبوه ليبوح بمكانه، وإلا لماذا عذبوه؟ خصوصاً وقد رأينا أنفأ أنهم سلبوا حتى النذور التي في صندوق ضريح أحد مشايخ الصوفية. استعمل الخوارزميون آلة جهنمية للضغط على الضحايا الذين يقعون بين أيديهم وهي المِعمار: «وتجمع على معاصر: اسم آلة للتعذيب مكونة من قطعتي خشب على شكل كَلَابَة أو ملزّمة تضغط بشدّة على رِجْلِي الرَّجُل أو رأسه»<sup>(١)</sup>. وهي الآلة نفسها التي يستخدمها الحدّادون والنجّارون بأنّ يضعوا ما بين فكّيها ما يريدون إمساكه ريثما ينتهون من عمله، وفيها يد يمكن بواسطتها تخفيف الضغط أو تشديده على ما بين فكّيها، وتُسمّى بعاميتنا العراقية المَنكّنة<sup>(٢)</sup>. صحيح أنها كانت مستخدمة من قبل يوسف بن عمر الثقفيّ أحد ولاة بني أمية، واستعملها يعقوب بن الليث الصفار بوضع جوزتين على صدغي الضحية وضغطهما بالآلة المعاصر<sup>(٣)</sup>، لكنّ الأتراك الخوارزميين استخدموها على نطاق واسع، فكانوا يحملونها معهم حينما يجتاحون المدن الإسلامية وغير الإسلامية، ويتم بواسطتها وبواسطة وسائل تعذيب أُخر الضغط على الضحايا ليبوحوا بالأماكن التي يخبئون فيها أموالهم ومدّخراتهم<sup>(٤)</sup>، كما يُستفاد منها في التحقيقات لتعذيب المعتقلين ليعترفوا بما يحاولون كتمانها؛ من ذلك مثلاً استخدامها عند استباحتهم مدينة خلاط قاعدة بلاد أرمينيا التي كان أهلها خليطاً من المسلمين والنصارى<sup>(٥)</sup>، حيث «استخرجوا دفائن أهلها وخباياهم بالمعاصر» كما سنرى لاحقاً.

ومن ذلك ما فعلوه من الجرائم بحق سكّان المدن السورية المسلمة حين غزوها سنة ٦٣٨هـ ممّا قد يذكره مؤرّخ أحياناً بصورة مختصرة كأنّ يقول سبط ابن الجوزيّ بعبارة مؤلمة: «ثم عادوا إلى منبج فنهبوا وقتلوا أهلها وفضحوا نساءها»<sup>(٦)</sup>، أو أنّ

(١) تكلمة المعاجم العربيّة: (عصر).

(٢) هناك تشابه بين هذه الكلمة وكلمة mangle الإنجليزية التي يقول قاموس المورد إنها تعني «١. المكواة الأسطوانية: آلة لكيّ الملابس بإمرارها بين أسطوانتين محماتين؛ ٢. يشوّه؛ يمثّل به؛ يشوّه بالبتّر أو السّحق» (المورد، قاموس إنكليزي - عربي، البعلبكيّ (مادة: mangle).

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، ٢/٢٢٩، ٦/٤١٠؛ موسوعة العذاب، الشالحيّ: ٢٠٦/٤.

(٤) ينظر مثلاً: سيرة السلطان جلال الدين منكبزني: ٨٣، ٢٢٦، نزهة المقلتين: ١١٩، ١٩٢.

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزوينيّ: ٥٤٢.

(٦) مرآة الزمان: ١١٧/١٥.

يقول ابن شداد: «قصدت الخوارزمية منبج وهجموها وقتلوا أكثر من فيها وسبوهم»<sup>(١)</sup>، لكننا نجد لدى مؤرخ آخر تفاصيل بشعة من تصرفاتهم، فقد وصلوا إلى القرى المحيطة بحلب وأسروا بعض العساكر السوريين، وفي المساء شربوا طوال تلك الليلة وسكروا وبدأوا بذبح بعض الأسرى فخاف البقية وتعهدوا بجلب أموال للخوارزمية لقاء إطلاق سراحهم، فمنهم من نجا ومنهم من غدروا به فأبقوه معتقلاً حتى بعد أن أخذوا منه الأموال، وانتشروا في أعمال حلب «وأخذوا من الغنائم من المواشي والأمتعة والنساء والصبيان ما لا يُعد ولا يُحصّر، وفعلوا من ارتكاب الفواحش مع حرم المسلمين ما لا يفعله التتر ولا غيرهم من الكفار»<sup>(٢)</sup>، يقول ابن مدينة حلب المؤرخ ابن العديم الذي عاصر تلك الوقائع المأساوية عن تحركهم الآتي: «رحلوا إلى بزاعا والباب، فعدّوا أهل الموضوعين واستفروهم»<sup>(٣)</sup> على أموالهم التي أخذوها، واستصفوها منهم. وقتلوا منهم جماعة ونهبوا ما كان فيها من المتاع والمواشي»، وكانوا قد وصلوا تلك القرى على حين غرة «فأخذوا من المواشي والأمتعة، والحرم»<sup>(٤)</sup>، والصبيان، ما لا يُحدّ ولا يُوصف وارتكبوا من الفاحشة مع حرم المسلمين ما لم يفعله أحد من الكفار إلا ما سُمع عن القرامطة»، ثم اقتحموا مدينة منبج «وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وخرّبوا دورها، ونبشوها، فعثروا فيها على أموال عظيمة، وسبوا أولادهم ونساءهم، وجأهروا الله تعالى بالمعاصي في حرمهم. والتجأ لمة»<sup>(٥)</sup> من النساء إلى المسجد الجامع، فدخلوا عليها وفحشوا»<sup>(٦)</sup> ببعضهن في المسجد الجامع، وكان الواحد منهم يأخذ المرأة، وعلى صدرها ولدها الرضيع، فيأخذه منها ويضرب به الأرض، ويأخذها ويمضي»<sup>(٧)</sup>.

(١) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ابن شداد: ١(٢)/٤٦٩.

(٢) مفرج الكرب: ٢٨٤/٥، ٢٨٥.

(٣) أي حققوا معهم وعدّبوهم لبيوحوا بما لديهم.

(٤) حرم الرجل: عياله ونساؤه وما يحمي، وهي المحارم (لسان العرب: حرم).

(٥) اللمة: الجماعة. ورد في النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير مادة (لمه): «ومنه حديث علي [عليه السلام]: أَلَا وَإِنَّ مَعَاوِيَةَ قَادَ لَمَّةً مِنَ الْعَوَاةِ، أَي جَمَاعَةً.»

(٦) فحشوا: زَنَوْا بِهِنَّ. ورد في النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير مادة (فحش): «كثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا»، والأمر هنا زنا واضح.

(٧) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم: ٣/٢٥١ - ٢٥٣؛ مفرج الكرب: ٢٨٤/٥ - ٢٨٦.

إنَّ ما ارتكبه الخوارزميون الغزاة بحقِّ سكَّانِ المدن والقرى العزلاء من السلاح والعساكر يذكِّرنا بما ارتكبه الفاتحون الإسبان من جرائم بحقِّ هنود القارة الأمريكية، فاستناداً إلى شهادة المطران ذي الضمير الحيِّ دي لاس كازاس الذي كان شاهد عيان على جرائمهم: «كانوا ينتزعون الرُّضْع من أمهاتهم ويمسكونهم من أفدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور ويلقون بهم في الأنهار ضاحكين، وحين يسقطون في الماء يقولون: عجباً! إنه يختلج؛ وكانوا يسفدون الطفل وأمّه بالسيف، أي كما تُسفِّد قطع اللحم بالسُّفود، وينصبون مشانق طويلة ينظمونها مجموعةً مجموعةً، كلُّ مجموعة ثلاثة عشر مشنوقاً، ثم يشعلون النار ويحرقونهم أحياء؛ وهناك مَنْ يربط الأجساد بالقشِّ اليابس ويشعل فيها النار، هكذا أحرقوا الهنود الحمر وهم أحياء»<sup>(١)</sup>؛ وذكِّرنا أيضاً بجرائم المستعمرين الأوروبيين في كلِّ البقاع التي احتلُّوها في العالم.

وقد أصبحت آلة المعاصير منتشرة في مصر والشام آنذاك<sup>(٢)</sup>، حيث نقرأ في التحقيق مع أسرة أحد القادة المماليك في مصر: «وعُوقب هو وأخوه المخلص ووالدتهما وبيدهم، وماتت والدتهما وأخوه المخلص تحت العقوبة في المعاصير والمقارع»<sup>(٣)</sup>. ونقرأ عن آخر: «وأخرج سائر خزائنه وخدمته وجواريه، فأحضر لهم المعاصير، وجعل يقرِّرهم على موجوده وأمواله»<sup>(٤)</sup>. بل أصبح مألوفاً أن يرى الإنسان نفسه في الحُلم وقد أصبح آلة عُود (الآلة الموسيقية)، فيفسَّر منامه بالقول «تُلوى عليك المعاصير وتزعقُ من ذلك»<sup>(٥)</sup>.

(١) المسيحية والسيف، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان، دي لاس كازاس: ٢٨، وكان هذا المطران النبيل قد أرسل عدَّة رسائل إلى ملك إسبانيا يستدرِّ عطفه ومنها رسالة إلى المجلس الإسباني سنة ١٥٣١م لإيقاف تلك المذابح بحقِّ سكان القارة الأمريكية الأصليين لكن من غير جدوى.

(٢) ينظر مثلاً: التاريخ المنصوري: ١٢٣؛ «وأهانته وعَصْرَهُ كاللصوص بالمعاصير»؛ والمذيل على الروضتين، أبو شامة: ١٧١/١، ٢٢٥/١؛ وتاريخ الإسلام: ٢١/١٣، (حوادث سنة ٦٠٧هـ): «وفيها ظهرت عملة بني السلار الستة عشر ألف دينار على ابن الدخينة بعد طول مكثه في الحبس، وموت زوجته تحت الضرب وعَصْرِهِ مرات وعَصْر بناته وابنه، وما قَرُّوا بشيء؛ وكان أكثر الذهب مدفوناً تحته بسجن القلعة». والعملة هي الشيء المسروق أو المختلس.

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر، الصفي: ٢٠٣/٣.

(٤) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، العيني: ٢٩/٣.

(٥) قواعد تفسير الأحلام المسمى البدر المنير في علم التفسير، الشهاب العابر: ٣٩٣.

## إحداثيات مجانية للمغول

من أخطر نتائج مطاردة المغول لجلال الدين منكبزي الذي اختفى وجيشه من مسرح الوقائع سنة ٦٢٨هـ، أنّ الجيش الجلاي الذي ظلّ يجول في هذه المناطق، مكّن الجيش المغولي الذي كان يطارده من أن يشكّل طلائع الجيوش المغولية الهائلة الأعداد التي ستأتي فيما بعد، وهكذا وطوال سنوات المطاردة كانت معرفة المغول تتراكم بهذه المناطق التي سيغزونها:

**أولاً:** إنّ المغول خلال مطاردتهم له كانوا يتنقلون وهم يمارسون الأعمال القتالية على الأراضي والمدن والقرى التي يمرون بها فيعرفون جغرافيتها وتضاريسها وسكّانها والقوميات التي ينتمون إليها، أي أنّهم تمكّنوا من معرفة إحداثيات جميع المناطق التي ظلّوا يطاردون بها السلطان جلال الدين الهارب أمامهم وخصوصاً عندما قلّ عدد العساكر الذين كانوا معه. فمثلاً عندما تقدّم جيش هولوكو فيما بعد لغزو العراق كانت لديه معلومات كافية بكلّ ما كانوا هم بحاجة إليه سواء بمعرفة المواقع الجغرافية أو السكان المقيمين فيها.

**ثانياً:** شراء ذمم من يحاولون شراؤه بالترهيب والترغيب لغرض تكليفهم بمعونتهم ولو بالتجسس وتقديم المعلومات لهم، وكذلك إقامة قواعد ثابتة لهم في تلك المناطق تنفعهم في العمليات المستقبلية، ومن ذلك ما حدث مع بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الذي وقّر لهم قاعدة ثابتة في الموصل استندوا إليها في تحركاتهم في المنطقة؛ فقد أعلن طاعته للمغول منذ سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م وهي السنة التي تقدّمت بها الجيوش المغولية نحو نينوى، وطبع في تلك السنة عملة نقدية في الموصل كتب في مركزها اسمه مع اسم الملك المغولي: «قآن الأعظم، لؤلؤ المعظم»<sup>(١)</sup>، وكان قد أمّد المغول سنة ٦٣٤هـ بما احتاجوه من معدات حربية وتموين عند محاصرتهم مدينة أربيل ممّا أدى إلى وفاة أغلب سكّانها عطشاً بعد أن دافعوا عن مدينتهم دفاعاً مجيداً<sup>(٢)</sup>. وتطوّر تعاونهم معهم إلى حدّ أنه أرسل إلى بلاد الشام في ٦٤٢هـ كتاباً قرّر فيه على

(١) العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، الحسيني: ١٢١، ١٢٣.

(٢) ينظر: كتاب الحوادث، مجهول: ١٢٨؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٣٨/٨؛ العسجد المسبوك: ٤٧٨؛ جامع التواريخ، تاريخ خلفاء چنكيز خان: ١٩١.

أهلها ضرائب سنوية يقتطعها من الأهالي ليرسلها إلى المغول، وكانت تُسمّى «قطيعة التتر»<sup>(١)</sup>، ثم شرعوا في جبايتها<sup>(٢)</sup>. وحين اتجه هولوكو لغزو العراق سنة ٦٥٦هـ، أرسل لنصرته جيشاً بقيادة نجله الملك الصالح إسماعيل وزوّده بالمعدات الثقيلة والمؤن<sup>(٣)</sup>. السلطان الهارب من المغول جلال الدين منكبُرني يغزو - خلال هروبه - القرى والمدن الإسلامية حتى يصل قريباً من بغداد فيقتل الرجال والشباب ويسبي النساء والفتيات وينهب الأموال، وبغية منعه من الوصول إلى بغداد يقوم الخليفة العباسي الناصر بتطبيق سياسة الأرض المحروقة، ولا ندري إن كان قد عوّض فلاحها عمّا ألحقه بأراضيهم ومحاصيلهم من أضرار، ذلك أنه كان منشغلاً باللعب بالطيور ورمي البندق والسباقات الرياضية، حيث شكّل جمعيات لهذه الهوايات احتكر فيها لنفسه فقط إصدار أمرٍ بالعضوية فيها؛ فقد: «جَعَلَ جُلَّ هَمِّهِ في رمي البندق والطيور المناسب وسراويلات الفتوة، فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلّا من يلبس منه سراويل يدّعي إليه، وليس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة؛ وكذلك أيضاً مَنَعَ الطيورَ المناسب لغيره إلّا ما يؤخذ من طيوره، ومنع الرّمي بالبندق إلّا من ينتمي إليه»<sup>(٤)</sup>.

## أمّ المجازر

نجد هوس سراويل الفتوة وقد تلبّس الخليفة المستنصر أيضاً، ففي سنة ٦٢٧هـ، وفي ذروة محاصرة جلال الدين منكبُرني لمدينة خلاط قاعدة بلاد أرمينيا<sup>(٥)</sup> التي قلنا إنَّ

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي: ١(٢)/٣٢٠، وفيه: «إني قررت على أهل الشام قطيعة التتر...».

(٢) ينظر: مرآة الزمان: ١٥/١٢٧؛ و تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (اختيار الذهبي)، ابن الجزري: ١٩٢؛ تاريخ الإسلام: ١٤/٣٤٧؛ زهة الأنام في تاريخ الإسلام، ابن دقماق: ١٥٥؛ السلوك: ١(٢)/٣٢٠، وينظر مقالنا «الخنجر اللؤلؤي في الخاصرة العباسية» بحث منشور في مجلّة أوراق مجمعيّة ع (٣): ٦٣ - ٦٧.

(٣) ينظر: مفرج الكروب: ٦/٢١٥؛ وتاريخ الإسلام: ١٤/٦٧٢.

(٤) الكامل في التاريخ: ١٢/٤٤٠.

(٥) خلاط: تقع في طرف بحيرة وان (أو أرجيش) الغربي، وكانت من أجلّ مدن أرمينية، وهي الآن في تركيا. (بلدان الخلافة الشرقية، لسترنج، ٢١٨).

أهلها كانوا مسلمين ونصاري، وكان السبب في حصارها أنه حين حدث خلاف بين الملك المعظم عيسى الأيوبي وأخويه الملك الأشرف والملك الكامل، كتب الرسائل إلى جلال الدين وفيها «يظهر الميل إلى طاعته واستحثائه على أخذ البلاد من الملك الأشرف»<sup>(١)</sup>، الذي كان ملكاً على مدينة خلاط، فجاء وحاصرها حتى أخذ الجوع مأخذه من أهلها «وأكلوا جميع ما في خلاط وعُدِمَ كُلُّ شيءٍ عندهم، وأكلوا لحم الكلاب والحمير والبغال وغيرها والخطمي والإشراس وجلود اللولك»<sup>(٢)</sup> ينقعونها ويأكلونها، وأنصَبَ عليهم عدةً مجانيق وخرب السور وبنوا بطانة له...»<sup>(٣)</sup>، في ذروة هذا الحصار الجائر قطع وفدٌ رفيع المستوى من كبار رجال بلاط الخليفة المستنصر المسافة الطويلة من بغداد حتى مدينة خلاط وهم يحملون سراويل الفتوة لكي يلبسوها بأمرٍ من الخليفة لجلال الدين هذا<sup>(٤)</sup>. ويذكر النسوي وزير السلطان جلال الدين وكاتبه تفاصيل مذهلة عن الكمية الهائلة من الهدايا والخلع والجواهر والنفائس التي بعث بها الخليفة إلى جلال الدين هذا وقادة جيشه<sup>(٥)</sup>. ألم يكن في الملاك العامل مع الخليفة المستنصر من يخبره بأن إرسال «السراويل» المرتبطة بالفتوة التي تشير إلى مكارم الأخلاق والتصوّف والطهارة والنقاء، حيث يذكر أهل الفتوة أنّ سندها يتصل بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٦)</sup>، أمر يتناقض وأخلاق جلال الدين الذي كان سكيراً لواطاً؟

(١) التاريخ الصالح: ٢٩٨/٢.

(٢) اللولك: نوع من الأحذية. الإشراس: مادة صمغية، قال الأنطاكّي: «الغرى وهو نبات له ورق كورق البصل لكنه أغلظ وأعرض وزهره إلى بياض وحمرة...» (تذكرة أولي الأبواب والجامع للعجب العجاب: ٤٧/١).

(٣) التاريخ المنصوري: ١٨٤؛ وينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٢١٨، وفيه: «واشدت الغلاء وكسدت الدنانير، وأكلت الكلاب والسنانير...»، عن سوء سيرة جيشه وارتكابه الفظائع في خلاط، والكامل في التاريخ: ٤٦٧/١٠.

(٤) ينظر كتاب الحوادث: ٢١، ٣١؛ و الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ابن الدوّاداري: ٢٩٦؛ وتوجد تفاصيل آخر عن إلباس هذا الوفد سراويل الفتوة إياه لدى ابن الفوطي في مجمع الآداب: ٥٤٩/٢، (حوادث سنة ٦٢٥هـ).

(٥) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٢١٥ - ٢١٦.

(٦) ينظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، دوزي: ٣٢٢.

ويُذكر أنّ رسل الخليفة طلبوا إليه فكَّ الحصار عن خلاط، لكنه رفض ذلك ورأى أنّ ذلك سيقلل من هيئته<sup>(١)</sup>، وقال عن أهل خلاط: «هؤلاء قد فنيت رجالي عليهم وأموالي وما كفى هذا حتى يشتموني أقبح شتيمة، لأصبرنّها حتى آخذها عنوةً»<sup>(٢)</sup>. وهكذا أهان الخليفة حيث لم يستجب لطلبه بفكّ الحصار.

وفي كلّ هذا دليل آخر على عدم تقدير الخليفة المستنصر لطبيعة ما يتطلبه كلّ موقف، ذلك أنّ المسلمين وغير المسلمين من أهالي المدن والقرى المنكوبة بانتهاكات جلال الدين وجنوده سيرون في تقديم الخليفة الهدايا والخلع والمجوهرات لهذا الغازي الذي أذاقهم الويل والعذاب، تأييداً منه لانتهاكاته واستهانته بأرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم.

وما أبلغ ما عبّر به المؤرخ ابن واصل عن المقارنة بين ما كان يفعله جلال الدين وما يفعله مُطاردوه التتار حين تحدّث عن اجتياحه مدينة خلاط، بقوله: «ولمّا فُتِحَتْ سبى عسكره بها الحریم وباعوا الأولاد - كما يُفَعَلُ بالكفّرة - ونُهِبَت الأموال، وجرى منه نظير ما جرى من التتر؛ فلا جرم أنّ الله سبحانه عاقبه ببغيه ولم يمهلُه»<sup>(٣)</sup>، مع أنّ ملك الروم علاء الدين كيقباد كان قد أرسل إليه رسالة يطلب إليه فيها أن ينصرف عن نيته غزو المدينة، وممّا قاله: «إنك سلطان ابن سلطان، فلا تصنع ما يخالف الشرع؛ واعلم أنّ أباك بسبب ظلمه أثار الله تعالى عليه جيوش التتر من المشرق»<sup>(٤)</sup>، لكنه لم يعبأ بذلك واتّبِع هواه.

يقول مؤرّخ بلاطه النسوي إنّ جلال الدين أراد منع جيشه من نهب خلاط لكنّ الخانات والأمراء الذين كانوا طامعين بأموال أهالي المدينة قالوا له إنّ طول مدة حصار المدينة أدت إلى أن يضعف الجيش وإلى فناء خيولهم ودوابهم، وإنّ منعهم من نهب المدينة سيجعلهم ضعفاء عن مواجهة أي جيش قد يصادفهم، «ونفتوا عليه من هذا

(١) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكرني: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) التاريخ المنصوري: ١٨٤.

(٣) مفرج الكروب: ٢٩٥/٤؛ وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب، عزّ الدين العسقلاني: ٢٩٤، وفيه: «وفعل في أهلها ما فعله التتر من الأسر والقتل».

(٤) تاريخ الزمان، ابن العبري: ٢٧٦.

القبيل لسُحِتْ شرهوا إلى احتجانه، حتى أرحى عنانهم في النهب، فنهبوا ثلاثة أيام تباعاً، فكان قرحاً على قرح، وملحاً فوق جرح؛ واستخرجوا دفائن أهلها وخباياهم بالمعاصير، فَمَن وقع بيده واحد من الخلاطية عَذَّبَه بأنواع العذاب. والذي شاع أنه (جلال الدين) أمر بقتل مَنْ بها حين استولى عليها فغير صحيح، لكن جماعة كثيرة هلكوا بالعقوبات؛ وكان الغلاء قد أفناهم»<sup>(١)</sup>. وهكذا تضافر الحصار والجوع والقتال المضني على إبادة المدنيين المسلمين والمسيحيين في المدينة مع العذابات التي حملها إياهم الجيش الخوارزمي «الفتاح» عندما نهبهم بقيادة جلال الدين، وعلى حدّ تعبير مؤرخ مسيحيٍّ معاصر للوقائع: «يعجز اللسان عن وصف الجرائم الفظيعة والصعوبات القاسية التي تعرّض لها أهالي أخلاط، ولم يبقَ لا جلود ولا حيوانات نجسة ما لم يأكلوها، ومات معظم الشعب جوعاً، فاضطروا إلى تسليم نفوسهم للقتل بحدّ السيف»، ثم يوجز بعبارة كثيفة حالّ المدينة بعد مغادرة جيش جلال الدين: «وتركوها قاعاً صفصفاً لا يُسمع فيها نباح كلب»<sup>(٢)</sup>؛ حقاً لقد كانت أمّ المجازر.

### الخوارزميون يُضعفون العراق

لقد خلقَ الجيش الخوارزميُّ الفوضى العارمة في العراق بأسره من شماله حتى البصرة وفي بعض الأقاليم المجاورة مثل خوزستان، واغتنمت هذه الفرصة مجاميعُ من الخارجين على القانون من داخل العراق ومارسوا القتلَ والسلب وقطع الطرق، ففي أوائل ٦٢٢هـ «تفرّق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا إلى بادرايا وباكسايا<sup>(٣)</sup> وغيرها وانحدر بعضهم إلى ناحية البصرة فنهبوا هنالك، فسار إليهم شحنة البصرة وهو الأمير ملتكين فأوقع بهم وقتل منهم جماعة، فدام الحصار نحو شهرين؛ ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه، فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار إلى أن وصل إلى بعقوبا - وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ - فلما وصل الخبر إلى بغداد

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: ٢٢٦؛ ونزهة المقلتين: ١٩٢، والتاريخ الصالح: ٢/٢٩٨.

(٢) تاريخ الرهاوي المجهول، لمجهول: ٢٦٢.

(٣) مدينتان قريبتان من بغداد، وقد عرفنا بهما آنفاً.

تجهزوا للحصار وأصلحوا السلاح من الجروح<sup>(١)</sup> والقسيّ والنشَاب والنفط وغير ذلك، وعاد عسكر الخليفة إلى بغداد.

وأما عسكر جلال الدين فنهب البلادَ وأهلها وكان قد وصل هو وعسكره إلى خوزستان في ضرٍّ شديدٍ وجهيدٍ وقلةٍ من الدوابِّ والذي معهم فهو من الضعف إلى حدِّ لا ينتفع به، فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا وأكثروا من أخذ الخيل والبغال فإنهم كانوا في غاية الحاجة إليها.

وسار من بعقوبا إلى دقوقا (داقوق الحالية) فحصرها، فصعد أهلها إلى السور وقاتلوه وسبُّوه وأكثروا من التكبير، فعظم ذلك عنده وشقَّ عليه وجدَّ في قتالهم، ففتحها عنوة وقهراً ونهبها عساكره وقتلوا كثيراً من أهلها، فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا في البلاد إلى أواخر ربيع الآخر والرسَل مترددةً بينه وبين مظفر الدين صاحب إربل (أربيل) فاصطلحوا، فسار جلال الدين إلى آذربايجان.

وفي مدة مقام جلال الدين بخوزستان والعراق ثارت العرب في البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل، فنال الخلق منهم أذىً شديداً وأخذوا في طريق العراق قفّلين<sup>(٢)</sup> عظيمين كانا سائرين إلى الموصل فلم يسلم منهم شيء البتة<sup>(٣)</sup>. وكان الخليفة العباسي الظاهر يسميه «الخارجي»<sup>(٤)</sup>.

أما استباحته مدينة داقوق العراقية، فقد «فتحها عنوةً وأوقع السيف في أهلها ونهب أموالهم، وسبى حريهم، وهتك نساءهم، وأحرق البلد وهدم سورته؛ وكانوا قد عصوا عليه وسبُّوه في الأسواق وبالغوا في شتمه»، ويضيف أنه عزم على التوجُّه إلى بغداد «فانزعج الخليفة وأخرج المال وفرَّق في العساكر ألف ألف دينار، ونصب المناجيق على الأسوار، وفرَّق السلاح وفتح الأهرار»<sup>(٥)</sup>.

(١) مفردها الجَرخ: «قذافة، آلة من آلات الحرب القديمة تُرمى عنها السهام والنفط» (تكملة المعاجم العربية: جرخ).

(٢) مفردها القفْل وهو القافلة.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤٢٦/١٢ - ٤٢٧، وقد أورد ابن الأثير بعدها واقعةً مأساويةً لأحد أعيان مدينة داقوق بسبب اجتياح جلال الدين لهذه المدينة.

(٤) مرآة الزمان: ٢٧٨/٢٢؛ والمذيل على الروضتين: ٣٨٥/١.

(٥) مرآة الزمان: ٢٧/١٥؛ والمذيل على الروضتين: ٣٧٧/١.

كانت سمعة الجيش الخوارزمي مثيرة للفرح عند سكان المدن والقرى التي يقتربون منها: جيشٌ مسلم كان يغتصب الفتيات والنساء المسلمات في داخل الجامع، ولكي لا تشغل المرأة التي لديها طفل رضيع بطفلها عن تحقيق نزوات الجندي الخوارزمي الذي يريد لها لمتعته والزنى بها، يضرب برضيعها الأرض ليموت. كانت القاعدة المعروفة عن جلال الدين وجيشه أنه «لا يأخذ بلداً إلا قتل أهله وسبى الأموال، وفَسَقوا بنسائهم وأولادهم»<sup>(١)</sup>، وأنهم «كانوا كالتتار في الغدر والمكر والقتل والنهب»<sup>(٢)</sup>.

قالوا إن الجيش الخوارزمي المسلم كان سداً بين المسلمين والمغول!!! وكيف يكونون سداً وقد وُصفوا بأنهم «ما مرُّوا بموضعٍ إلا ونهبوه وعاثوا فيه»<sup>(٣)</sup>، ترى ما الذي كان يفعله المغول والتتار لو دخلوا هذه المدن - وقد صلحوا فعلاً فيما بعد - أكثر فظاعة من هذه الأعمال التي ارتكبتها الغزاة الخوارزمية؟ ألم يقل ابن الأثير: «إن سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا»<sup>(٤)</sup>. وألم يقل ابن الجزري في مفتتح حوادث سنة ٥٦٤٤هـ: «بلاد الشرق الفراتية ما بين نهب وخرابٍ من الخوارزمية تارةً، ومن التتار أخرى»<sup>(٥)</sup>؟

### اختلال موازين القوى وتدمير طاقات المنطقة القتالية والاقتصادية

اشتهر عن جلال الدين أن سيرته «كانت جائرة في الرعايا، وعساكره طامعة في الأموال»<sup>(٦)</sup>. فقد أدَّى وجودُ جلال الدين وجيشه في العراق والشام وبلاد الروم إلى اختلال موازين القوى الاقتصادية فضلاً عن العسكرية، فكان من أخطر النتائج التي أدَّت إليها حملاته على مدن وقرى العراق والشام والروم، الخراب الاقتصادي الذي شمل الزراعة والتجارة وتربية الماشية وانقطاع الطرق بسبب الغارات التي كان يشنّها

(١) المذيل على الروضتين: ٢١/٢.

(٢) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ٢٠٥.

(٣) مفرج الكروب: ٣٣٦/٥.

(٤) الكامل في التاريخ: ٤٧١/١٢.

(٥) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ٢٠١.

(٦) العسجد المسبوك: ٤٢٧.

جيشه والجيش المغولي الذي جاء يطاردهم في هذه الأصقاع، ومن ذلك الهجمات على القوافل التجارية المتجهة إلى عاصمة الخلافة أو الخارجة منها؛ كل ذلك كان له تأثيره السيئ على اقتصاديات المنطقة، بل وعلى الضرائب التي كانت الدولة تجبها من سگانها لكي تعزز بها الإنفاق على الجيش وتشديد المرافق العامة. كما قلّت تلك الأعمال من هيبة الدولة العباسية في نفوس المواطنين التابعين لها وهم يرون الفوضى تهيمن على كل مكان، وأدّت إلى إضعاف المواطنين اجتماعياً حيث مزّقتهم بالأسر والبيع في أسواق النخاسة مع الشعور بالذلّ وهم يشاهدون دولتهم العباسية ذات الصيت وخليفتهم عاجزين عن صدّ غارات الجيش الخوارزمي المتنقل بفوضاه وكوارثه في ربوعهم يسفك الدماء ويدمّر المزارع ويسبي النساء والأطفال؛ وأضعفتهم اقتصادياً حين دمّر هؤلاء الغزاة ممتلكاتهم ونهبوا ما لديهم - بقوة السلاح وأعمال التعذيب - أموالهم ومدّخراتهم. وبذلك أصبح العراق منطقة رخوة لا قدرة لها على مقاومة غزو المغول الذين سيأتون لاحقاً بكامل عنفوانهم وقدراتهم العسكرية واللوجستية.

وهكذا تحولت المدن والقرى المنكوبة بالخوارزميين إلى مدن أشباح وأصيب أهلها بالفقر المدقع، فقد كان الخوارزميون يتعمدون في غالب الأحيان حتى إلى إحراق الأقوات التي في القرى التي يجتازون بها أو يغزونها<sup>(١)</sup>. وإذا شحّت المؤن والأقوات لديهم كانوا يهاجمون أية قرية أو مدينة لانتزاع أي شيء يريدهونه وارتكاب أسوأ الأعمال البربرية، فمثلاً حين قلّت المؤن لديهم قرب أعمال أرزن الروم سنة ٦٢٣هـ، بادروا إلى مهاجمة تلك الأعمال «ونهبوها وسبوا النساء، وأخذوا من الغنائم شيئاً كثيراً لا يُحصى»<sup>(٢)</sup>. كان سگان المناطق والمدن يشعرون بالرعب من مجرد ذكر اسم الخوارزمية، فكانوا يلجأون حتى إلى خصومهم أحياناً تخلصاً من شرهم.

(١) ينظر مفرج الكروب: ٢٨٩/٥، غزوتهم قريتي تل عرن وسرمين من قرى حلب سنة ٦٣٨هـ.  
(٢) الكامل في التاريخ: ٤٥٥/١٢. وأرزن الروم كما سمّاها العرب أو أرزروم وعرفها الأرمن باسم Karin وكان بها كنيسة وإلى جانبها شُيّد جامع على غرار الكعبة في مكة. (ينظر بلدان الخلافة الشرقية: ١٤٩ - ١٥٠)؛ قال زكريا القزويني: «إنّها من مدن أرمينية بقرب خلط». (آثار البلاد وأخبار العباد: ٤٩٤).

## مأساة تفليس

ظلت تفليس (تبيليسي وهي عاصمة جمهورية جورجيا الحالية) بأيدي المسلمين منذ أن فتحوها في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إلى أن انتزعها الكرج (الجورجيون) من أيدي السلاجقة سنة ٥١٥هـ، ويقول ابن واصل: إن الكرج «لما ملكوا تفليس أبقوا من فيها من المسلمين، وأذنوا لهم في إقامة شعائر الإسلام، فكانت [صلاة] الجُمع تُقام فيها ويُعلن بالأذان، ومع هذا فكان من فيها من المسلمين يتمنون أن يستنقذها الله تعالى من الكفار»<sup>(١)</sup>. فلما وصل جلال الدين إلى المنطقة بعد سيطرته على تبريز وأكثر بلاد آذربايجان واستفحل أمره وكثرت عساكره، أرسل إلى الكرج يعلن حالة الحرب معهم، وقد ذكر ابن الأثير «ما كان يفعلونه في بلاد الإسلام خلط وأعمالها وأذربيجان وأران وأرزن الروم ودربند شروان، وهذه ولايات تجاور بلادهم، وما كانوا يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من أموالهم ويملكون من بلادهم، والمسلمون معهم في هذه البلاد تحت الذل والخزي كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوه على ما شاؤوا من الأموال»<sup>(٢)</sup>.

فأرسل الكرج إليه يقولون إننا ألحقنا الهزيمة بالتر الذين هزموا أباك، ثم بدأوا بجمع المقاتلين وأخيراً اصطدموا بجيش جلال الدين الذي ألحق بهم سنة ٦٢٢هـ هزيمة ساحقة، ولم يكتف بذلك فأمر «أن يُقتلوا بكل طريق ولا يُبقوا على أحد منهم، فالذي تحققنا<sup>(٣)</sup> أنه قُتل منهم عشرون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك فليل الكرج جميعهم قُتلوا وافترقوا وأسر كثير من أعيانهم»<sup>(٤)</sup>، ثم «فرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد»<sup>(٥)</sup>، وأصدر أمراً إلى عساكره «فتبعوا المنهزمين يقتلونهم»<sup>(٦)</sup>. وكانت خطته أنه إذا أباد الكرج فسيتمكن من الاستيلاء على عاصمتهم تفليس من غير حاجة إلى أن يخسر بعض جنوده في القتال.

(١) مفرج الكروب: ١٨١/٤ - ١٨٣.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤٣٥/١٢.

(٣) القول لابن الأثير.

(٤) الكامل في التاريخ: ٤٣٥/١٢؛ ومفرج الكروب: ١٥٣/٤، ١٥٤.

(٥) الكامل في التاريخ: ٤٣٦/١٢.

(٦) الكامل في التاريخ: ٤٥٠/١٢.

ثم توجه إلى تفليس سنة ٦٢٣ هـ واقترب من أسوارها بقوة مقاتلة صغيرة من جيشه، فاصطدم بقوة كُرجية، فنوهم هؤلاء أن كل ما لدى جلال الدين من جيش كان هو تلك القوة الصغيرة، فلما بدأ بالتراجع أمامهم ظنوه قد هُزم، فتبعوه فأوقعهم في كمين من عساكره ضخم كان قد أعدّه سلفاً، فلما توسّطوا الكمين خرج الجيش عليهم وأباد أكثرهم وانسحب الباقون إلى المدينة، فتبعهم جيش جلال الدين وتمكّن من هزيمتهم، وبرغم سيطرة «المسلمين الخوارزمية» على المدينة وكان الحربي أن تهدأ الأمور وأن تُدار المدينة من هؤلاء الفاتحين، إلا أن جلال الدين أصرَّ على ارتكاب المجازر المرعبة بحق سكّانها التي لم يكن لها أي مسوِّغ سوى التشفي والانتقام والاستهانة بالأرواح البشرية، يقول ابن الأثير: «فملك المسلمون البلد عنوة وقهراً بغير أمان، وقتل [جلال الدين] كلَّ مَنْ فيه من الكُرج، ولم يُبق على كبير ولا صغير إلا مَنْ أذعن بالإسلام، وأقرَّ بكلمتي الشهادة فإنهم أبقى عليهم وأمرهم فتختنوا وتركهم. ونهب المسلمون الأموال، وسبوا النساء واسترقوا الأولاد؛ ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره»<sup>(١)</sup>. وبحكم معرفتنا بطبائع الجنود الخوارزميين الشريرة، لا نعتقد أن ما أصاب المسلمين كان «بعض الأذى»، فأفراد الجيش الخوارزمي - كما عرفناهم في غزواتهم - لم يكونوا يتركون مسلماً أو مسيحياً إلا عذّبوه بأنواع العذاب ليدلّهم على ما لديه من أموال ومدّخرات ليسلبوها، وهكذا «تحكّمت السيوف في أهلها، والأيدي الناهبة في أموالها»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن المسلمين وقد رأوا ما حلَّ بهم على أيدي الجيش الخوارزمي المسلم من القتل والنهب والفجور والسبي، اغتتموا فرصة مغادرة جلال الدين بجيشه المدينة لأمر ما إلى إحدى المناطق المجاورة سنة ٦٢٤ هـ، فدعوا جيرانهم الكُرج وهم مسيحيون ليجيروهم، متصورين أن وجود الكُرج في مدينتهم سيكون أرحم من وجود الخوارزمية؛ فبادر الجورجيون الذين رأوا تبليسي خالية من العساكر إلى ارتكاب أشنع المجازر بحق سكّانها الذين استنجدوا بهم، ثم أحرقوا المدينة، يقول الأشرف الغساني: «فصد الكُرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الإسلاميّ مَنْ يقوم بحفظها. وكان عسكر

(١) الكامل في التاريخ: ٤٥٠/١٢ - ٤٥١؛ ومفرج الكروب: ١٨٥/٤.

(٢) على حدّ تعبير النسويّ في سيرة السلطان جلال الدين منكبُزني: ١٤٥.

جلال قد أساءوا السيرة في أصحاب تفليس وهم مسلمون وعَسَفُوهم، فكاتبوا الكُرج يستدعونهم، وأرأوا جوارهم وإن كانوا كفاراً خيراً من جوار الخوارزمية وإن كانوا مسلمين، لما يعرفون من حسن جوار الكُرج وسوء جوار الخوارزمية؛ فاغتنم الكُرج ذلك وساروا إلى تفليس ووضعوا السيْفَ فيمن بقي من أهله، وأحرقوا البلدَ وانشمروا راجعين. ولَمَّا علم جلال الدين بذلك سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم يلحق أحداً منهم»<sup>(١)</sup>.

أما كون أن بعض أهل المدينة من المسيحيين قد اعتنقوا الإسلام وأمر جلال الدين بختانهم، فهذا إسلام أُجبروا عليه بحدّ السيْف وهو مخالف لِقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا الإسلام الإجماعيّ شبيه بالتنصير الإجماعيّ الذي فرضه كولومبس على سكّان أمريكا عندما نزلها سنة ١٤٩٢م، وأطلق على السكّان المحليّين اسم الهنود، وكان هدفه المتعمّد به هو «تحويل الكفار الهنود إلى إيماننا المقدّس، وهذا كان ترخيصاً باستعباد الآلاف من الأمريكيّين المحليّين وتصديرهم، وكانت نتيجة هذه المعاملة الإبادة؛ وهذا لم يشكّل قضية طالما أنّ هؤلاء السكّان المحليّين قد مُنحوا الفرصة لحياة سمرمية من خلال عرضهم على المسيحية. وأعطى هذا النوع نفسه من التفكير الغربيّ أيضاً الإجازة لاغتصاب النساء؛ ووصف كولومبوس بكلماته كيف أنه شخصياً نال متعته مع امرأة محلية بعدما جلّدها بحصافة بقطعة من حبل»<sup>(٣)</sup>.

لقد اجترح كولومبوس ومن معه الموبقات والرذائل وارتكب من المجازر ما ترتعد من ذكره القلوب هلعاً، بالتعاون مع مطارنة وقساوسة ورجال مسيحيين كانوا من أرذل حثالة البشر يتبرأ منهم المسيح عليه السلام وكلّ مسيحيّ شريف؛ كان حال المطارنة الذين

(١) العسجد المسبوك: ٤٢٦؛ وينظر: معجم البلدان: ٨٥٩/١؛ والكامل في التاريخ: ٤٦٩/١٢، وفيه:

«فكاتبوا الكُرج يستدعونهم إليهم ليملكوهم البلدَ، فاغتنم الكُرج ذلك لميل أهل البلد إليهم...»؛

البداية والنهاية: ١٣/١٣٧.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) الجانب المظلم في التاريخ المسيحيّ، إيليربي: ١٠٣.

شاركوه جرائمه كحال القاضي مجد الدين الخوارزمي الذي جاء مع السلطان جلال الدين، ذلكم القاضي الذي كان فاسقاً خماراً زانياً محللاً شرب الخمر...، ممّا سننقله لاحقاً.

ما كانت استجارة أهالي تيبليسي بالجورجيين لتحدث لو لم يقدّم جلال الدين إلى مدينتهم ويرتكب الفظائع بحقهم ويدمر قوتهم العسكرية ويبيد ما بقي من شبانها ورجالها، ممّا أحدث فراغاً في دفاعات المدينة استغلّه الجورجيون الذين كانوا في أعلى درجات النذالة حين قتلوا التبليسيين الذين استجاروا بهم «كالمستجير من الرمضاء بالنار». إن من يعرف أخلاق التبليسيين وتبّلهم وكرمهم الخارق يأسف لمصير هذه المدينة المسلمة، فقد ذكر الجغرافي الشهير ابن حوقل الذي زار عاصمتهم تفليس في القرن الرابع الهجري عن كرم أهلها ما ظلّ خالداً مدى الأزمان، إذ كان قانون أهلها الصارم أنّ الغريب إذا نزل في مدينتهم لا يتركونه بيت وحده من غير أن يخصّصوا له خادماً يخدمه أو أن ينزل ضيفاً في بيوتهم، وحين آلى ابن حوقل على نفسه أن لا يكون ضيفاً عند أحد منهم جاءه وفد من أهلها وطلبوا إليه أن لا يخالف ما هم عليه من الكرم، وأرسلوا شخصاً وضع خشبة على باب بيته وسمرها بمسامير، ثم استضافوه في بيوتهم، وكانوا يشترون بضاعته بأفضل الأثمان، إلى أن غادرهم وهو مندهش لذلك السخاء<sup>(١)</sup>. مثل هؤلاء النبلاء استنجدوا بالجورجيين لينقذوهم من جلال الدين وجيشه المسلم، فيفاجأون بأن من استنجدوا بهم لإنقاذهم كانوا كالخوارزميين، حثالة مجرمين وقتلوا ولصوصاً.

### جنود البروليتاريا الرثة والقائد البوهيمي

وكما هو حال الجنود المغول الذين كانوا حثالة البشر وعتاة المجرمين، كان جلال الدين أيضاً وأفراد جيشه على المستوى المغولي نفسه من الانحطاط، إذ ينقل الذهبي من الموفق عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٢٩هـ) المعاصر لجلال الدين قوله الذي رواه عن أحد طلبته ممن عاش في تفليس: «والرثى فيهم يعني في الخوارزمية فاش، واللواط ليس بقبيح ولا معذوقاً بشرط الكبر والصغر<sup>(٢)</sup>، والغدر خلقي لا يزالهم، أخذوا قلعة عند

(١) ينظر صورة الأرض، ابن حوقل: ٣٤٠ - ٣٤٢.

(٢) معذوقاً به: مرتبطاً به. قال ابن فارس: «عذق: العين والذال والقاف أصل واحد يدل على امتداد في شيء وتعلّق شيء بشيء» (معجم مقاييس اللغة: عذق).

تفليس بالأمان، فلمَّا نزل أهلها وبعثوا يسيراً، عادوا عليهم فقتلوا من كان يصلح للقتل وسبوا من كان يصلح للسبي؛ وردَّ عليَّ رجلٌ من تفليس كان يقرأ عليَّ الطبَّ، فدكَّر لي ذلك كلَّه وأنه أقام بتفليس ستَّ سنين»<sup>(١)</sup>.

قال معاصره الأديب ابن الشعار (٥٩٥ - ٦٥٤هـ) عن جيشه: «تغلَّب الخوارزمية لعنهم الله تعالى على أكثر البلاد الشامية والفُراتية ونهبوا (...)، واستباحوا حريمها، وكذلك (...)، وجملة من القرى وأفسدوا وعاثوا»<sup>(٢)</sup>.

وكان لديه قاضٍ من طراز خاصٍّ يدعى قاضي الممالك مجد الدين الخوارزمي الحنفي، و«كان فاسقاً خماراً زانياً، محللاً شرب الخمر وغيره، كثير التبرُّج بالمحارم»<sup>(٣)</sup>، وكان يطيِّب له أن يشرب الخمر مع الملوك، فقد شربها مع الملك الأشرف موسى الأيوبي ومع الملك المعظم عيسى الأيوبي<sup>(٤)</sup>؛ إذ كان بعض الملوك الأيوبيين ممَّن يعاقر الخمر، فضلاً عن الأشرف موسى والمعظم عيسى عرف بمعاقرتها الملك الصالح أيوب<sup>(٥)</sup>، والملك الكامل<sup>(٦)</sup>، والملك الأوحده أيوب ملك خلاط<sup>(٧)</sup>، والناصر داود (وكان الشراب يؤثِّر في الملك الناصر تأثيراً كثيراً يخرج بسببه عن الحد)<sup>(٨)</sup>.

لقد ظلَّ جلال الدين هذا القائد الهارب أبداً وإلى آخر لحظة من حياته منهمكاً في حفلات سكره وإشباع رغباته الجنسية وتلبية مطالب أمراء جيشه وجنودهم بنهب المدن والقرى، وأصبح من المألوف أن يتناقل المؤرِّخون أمثلةً من الفضاعات التي يرتكبها جيشه بحقَّ السكَّان المدنيين، ومنه ما ورد في حوادث سنة ٦٢٥هـ تحت عنوان «ذكر نهب جلال الدين بلاد أرمينية» لدى ابن الأثير: «وصل جلال الدين خوارزم

(١) تاريخ الإسلام: ٨٥٥/١٣.

(٢) قلاند الجمال: ٩٤/٤. والنقاط التي بين قوسين هكذا (...) دالة على وجود فراغ في أصل المخطوطة.

(٣) التاريخ المنصوري: ١٢٠، ١٢٣.

(٤) التاريخ المنصوري: ١١٥.

(٥) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٢٧١/٥؛ قال فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٩٢/٢٣: «كان جواداً محبباً إلى الناس إلا أنه كان يتناول النبيذ».

(٦) ينظر الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٤٦/٢٩؛ فوات الوفيات، ابن شاعر: ٣٦٧/٤.

(٧) ينظر شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٢٧٤.

(٨) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٢٧١/٥، ٢٧٢.

شاه إلى بلاد خلاط وتعدّى خلاط إلى صحراء موش وجبل حور، ونهب الجميع وسبى الحريم واسترقّ الأولاد وقتل الرجال وخرب القرى وعاد إلى بلاده»<sup>(١)</sup>؛ وإنّما ثبّت أهل خلاط - المسلمون منهم والنصارى - ذلك الثبات الأسطوريّ وأكلوا «البغال والحمير والكلاب والسنانير، وكانوا يصطادون الفأر ويأكلونه؛ وصبروا صبراً لم يصبه محاصر، خوفاً من جلال الدين وما يعرفونه منه من إقدامه على سفك الدماء»، كما يقول ابن واصل، وهو ما حدث عندما دخلها بعسكره «ووضع السيف في أهله وفعل في ذلك فعل التتر، فقتل كل من وجد في البلد»، و «لما فتحت سبى عسكره الحريم، وباعوا الأولاد كما يفعل بالكفرة، ونُهبت الأموال، وجرى منه نظير ما جرى من التتر»<sup>(٢)</sup>. وما قاله مؤرّخ آخر عن وصولهم مدينة دنيسر سنة ٦٢٨هـ، حيث «قتلوا أهلها وسبّوهم، وأحرقوا الجامع وكان قد احتفى به جماعة، فحرقوهم في الجملة»<sup>(٣)</sup>. هكذا لم تكن لديهم حرمة للجامع الذي أوى إليه هؤلاء الأبرياء.

وكان قد «نهب بلاد الإسماعيلية وخرّب ضياعهم، وقتل أهلها، وسبى الحريم، واسترقّ الأولاد، وعمل فيهم الأعمال الفظيعة»<sup>(٤)</sup>، بل مارس وزيره شرف الملك معهم عمل قطع الطرق حين سمع مرةً بوصول قافلة كبيرة للإسماعيلية قادمة من الشام فيها نيّف وسبعون رجلاً، فأرسل إليهم عسكراً فقتلوهم صبراً وسلبوا أموالهم<sup>(٥)</sup>.

وحدث مرةً أن «أغاروا على بلد سميساط وعبروا إلى السويداء، فأقطعهم الملك الناصر صاحب حلب ما بين النهرين الرُّها وحرّان وغيرهما، فكفّوا عن الفساد والغارات»<sup>(٦)</sup>، أي أنّ الناصر الأيوبيّ حفاظاً على كرسيّ حكمه سلّم أهالي تلك البقاع للخوارزمية يفعلون بها ما يشاؤون.

ولذا فإنه بمجرد أن رأى أهالي تلك المناطق ضعفاً في قوات جلال الدين هذا بادروا

(١) الكامل في التاريخ: ٤٨١/١٢؛ والعسجد المسبوك: ٤٣٤.

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٢٩٥/٤.

(٣) التاريخ المنصوريّ: ٢٣٠.

(٤) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٣١٧/٤.

(٥) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبزني: ١٨٣؛ نزهة المقلتين، ١٧٦.

(٦) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري: ٤٣٨، (حوادث سنة ٦٣٥هـ).

إلى مهاجمتهم والانتقام منهم لما فعلوه بهم طوال سنوات من القتل والنهب، فكان الناس المنكوبون بأعماله وأعمال جيشه الإجرامية، يبادرون إلى الانتقام منه كلما سحت الفرصة، يقول القزويني: «في سنة ٦٢٧هـ انهزم جلال الدين خوارزم شاه من التتر، فانتهى إلى آمد، فجاءه من أخبره بأن التتر خلفك قريب منك، فقال: إن هذا المخبر من عند صاحب آمد، يريد إبعادنا من أرضه؛ فما أصبح إلا والتتر محيطاً بهم، فانصبوا إلى آمد هارين من التتر، فقاتلهم<sup>(١)</sup> أهل آمد من السور»<sup>(٢)</sup>. ثم إن التتر تعقبوا الخوارزميين «فانهزم خوارزم شاه إلى أطراف سورية، فأدركوه في بلد آمد وأتلفوا عساكره»<sup>(٣)</sup>.

### الرحيل المفاجئ

في حوادث سنة ٦٢٨هـ، نقرأ كلام ابن الأثير الناطق بالمرارة والألم مما فعله هذا القائد «المسلم» وجنوده «المسلمون» بأهالي تلك المناطق من مسلمين وغير مسلمين: «فجاءت طائفة من التتر يقصدون أثره (أثر جلال الدين)، فوصلوا إليه على غير الطريق الذي فيه اليزك<sup>(٤)</sup>، فأوقعوا به ليلاً وهو بظاهر مدينة آمد، فمضى منهزماً على وجهه وتفرق من معه من العسكر في كل وجه، فقصد طائفة من عسكره حران فأوقع بهم الأمير صواب مقدم الملك الكامل بخران ومعه العسكر، فأخذوا ما معهم من مال وسلاح ودواب؛ وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار وإربل وغير ذلك من البلاد، فتخطفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل أحد حتى الفلاح والكردي والبدوي وغيرهم؛ وانتقم [الله] منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم في خلاط وغيرها وبما سَعَوْا في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين. فازداد جلال الدين ضعفاً إلى ضعفه ووهناً إلى وهنه وبمن تفرق من عسكره وبما جرى عليهم، فلما فعَل التتر بهم ذلك ومضى منهزماً منهم، دخلوا ديار بكر في طلبه لأنهم لم يعلموا أين قصد

(١) في الأصل: فقتلهم، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد: ٤٩٢.

(٣) تاريخ الزمان: ٢٧٧.

(٤) اليزك: في محيط المحيط (يزك): «رئيس العسس ومن يرقب من مضى فيتبعه». وتعني أيضاً طليعة الجيش، أو المرقب أو الربيطة التي فيها مجموعة عساكر لمراقبة العدو ومخافة أن يهجم.

ولا أي طريق سلك؛ فسبحان مَنْ بَدَّلَ أَمَنَّهُمْ خَوْفًا وَعَزَّهُمْ ذَلًّا وَكَثَّرْتَهُمْ قَلَّةً»<sup>(١)</sup>.

يقول ابن العديم وهو يذكر ما فعله بأهل خلاط بعد محاصرتهم واقتحام مدينتهم سنة ٦٢٧هـ: «ووضع السيف في أهلها، وسبى النساء والصبيان»<sup>(٢)</sup>؛ ويفضّل ابن الأثير بالقول: «ووضع السيف في أهل البلد، وقتل مَنْ وُجِدَ به منهم، وكانوا قد قَلُّوا فَإِنَّ بعضهم فارقه خوفاً وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم مات من القِلَّةِ وَعُدْمِ القُوَّةِ؛ فَإِنَّ الناس في خلاط أكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير، وسمعنا أنهم كانوا يصطادون الفار ويأكلونه، وصبروا صبراً لم يلحقهم فيه أحد...، وخربوا (أي جنود جلال الدين) خلاط وأكثروا القتل فيها، وَمَنْ سلم هرب في البلاد، وسبوا الحريم واسترقوا الأولاد وباعوا الجميع، فتمزقوا كل ممزق وتفرقوا في البلاد. ونهبوا الأموال وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله»، ثم يُعَقَّبُ: «لا جَرَمَ، لم يُمِهِّلْهُ اللهُ تعالى، وجرى عليه من الهزيمة بين المسلمين والتتر»<sup>(٣)</sup>.

### أمّ المعارك والهروب من أمام العساكر

نحن الآن في سنة ٦٢٨هـ، وكان جلال الدين يخيّم قريباً من آذربايجان، ثم بلغته أنباء وصول التتار إليها، يقول ابن الأثير إنه «لما رأى ما يفعله التتر في بلاد آذربايجان وأنهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الأموال وهم عازمون على قصده، ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق آذربايجان إلى بلاد خلاط وأرسل إلى النائب بها عن الملك الأشرف يقول له: ما جئنا للحرب ولا للآذى إنما خوفٌ هذا العدو حملنا على قصد بلادكم». وزاد إلى ذلك قوله إنه كان ينوي التوجّه إلى ديار بكر والجزيرة، ثم من هناك «يقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر، ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة إهمالهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ، ٤٩٨/١٢؛ المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته، الصالحى الخياط: ١٥٢ - ١٥٣،

وما بين العضادتين زيادة منه؛ وينظر العسجد المسبوك: ٤٤٤.

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم: ٢٠٨/٣.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤٨٨/١٢؛ والعسجد المسبوك: ٤٣٨، (حوادث سنة ٦٢٦هـ).

(٤) الكامل في التاريخ: ٤٩٨/١٢.

الآن، بعد كل هذا الدمار الذي ألحقه ببلاد الخليفة والبلدان الأخرى وإهلاكه العباد، وإفقاره البلاد، تصوّر له أحلامه أنّ الخليفة وبقية ملوك المنطقة سيستجيبون له ويساعدونه على حرب التتار.

### بين كأسِ الطّلا وكأسِ المنيا

في السنة نفسها أي ٦٢٨هـ أقام جلال الدين مخيمه بجوار جسر قريب من مدينة آمد، فجاءه رجل وأخبره أنه رأى في الموضوع الذي كان به أمس أشخاصاً تختلف ملابسهم عن ملابس جنود السلطان وكذلك خيلهم، ويعني أنهم كانوا مغولاً، فتصوّر السلطان ذلك حيلةً ممّن لا يريد له أن يقيم في ذلك الموضوع، يقول النسويّ كاتبه الخاص ومؤرّخه: ثم إنّه دعا بالخمير وشرب بجنون «فسكر، فنال من سكرة خماره دوار الرأس، وقطع الأنفاس؛ فلا صحو إلا إذا نُفخ في الصور، وبُعثر ما في القبور...، وقضى بنشوته ناشئة الليل إلى قريب الفجر، وأحاط تاتار (المغول) به وبعسكره مصبحين...، وكنّت قد سهرت تلك الليلة للكتابة فغلبنى النوم في آخرياتها، فلم أشعر إلا والغلام ينبّهني ويقول: فمّ فقد قامت القيامة»<sup>(١)</sup>. ولم يتمكن السلطان عندها إلا أن يأمر أحد قادته بمشاغلهم، وفرّ هو من الميدان حيث قُتل فيما بعد، و«كان له حظية يحبها، فخرج من خيمته وأركبها فرساً وسلّمها إلى بعض أصحابه وأمره أن يذهب بها إلى موضع يأمن عليها منه، ثم ركب جلال الدين ومعه نفر يسير من أصحابه وولّوا منهزمين، ونهّب التتر المعسكر وقتلوا من ظفروا به من العسكر»<sup>(٢)</sup>. يقول النسويّ: إنه خلال المعركة انفصل جلال الدين عمّن كان معه، فتعقّبه خمسة عشر فارساً مغولياً، فاشتبك معهم وقتل اثنين منهم «وأيسّ الباقون من الظفر به، فرجعوا؛ ثم صعد الجبل، وكان الأكراد يحفظون الطرق»<sup>(٣)</sup> لسختٍ يجمعونه، فأخذه وسلّبه كعادتهم بسائر من ظفروا به. فحين همّوا بقتله قال لكبيرهم سراً: أنا السلطان، فلا تستعجل في أمري، وخيّره بين

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢٦٨ - ٢٦٩، نزهة المقلتين: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) مفرج الكرب: ٣٢١/٤.

(٣) يحفظون الطرق: يحرسونها، وتعني هنا المراقبة الدقيقة بغية استلاب ما يمكن سرقة من المال السُحت (الحرام) ممّن يمرّ بهم من الناس أو القوافل في تلك المناطق.

أَنْ يَسْلَمَهُ لِلْمَلِكِ الْمُظْفَرِ الْأَيْبِيِّ فَيُغْنِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ أَوْ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى أَحَدِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي هِيَ بِحَوْزَتِهِ فَيُجْعَلُهُ مَلِكًا، فَوَافَقَ الرَّجُلُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ فَتَرَكَهُ فِيهِ وَذَهَبَ لِإِحْضَارِ خَيْلِهِ، وَهَنَا جَاءَ كُرْدِيٌّ آخَرٌ فَرَأَهُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْخَوَارِزْمِيُّ؟ وَهَلَّا تَقْتُلُونَهُ؟ فَقَالَتْ زَوْجَةُ صَاحِبِ الْبَيْتِ إِنَّ زَوْجَهَا قَدْ أَمَّنَّهُ وَقَدْ عَرَفَ أَنَّهُ السُّلْطَانُ؛ فَقَالَ: كَيْفَ تَصَدَّقُونَهُ بِأَنَّهُ السُّلْطَانُ، وَقَدْ قُتِلَ لِي بِخِلَاطِ أَحْ خَيْرٍ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ بِالْحَرْبَةِ فَقَتَلَهُ<sup>(١)</sup>، وَيَقُولُ ابْنُ الدُّوَادَرِيِّ: «أَنْزَلَهُ بَعْضُ الْأَكَارِيدِ<sup>(٢)</sup> عِنْدَهُ، وَطَمَعَتْ نَفْسُهُ فِي مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْقِمَاشِ<sup>(٣)</sup>، فَقَتَلَهُ عِنْدَمَا نَامَ فِي اللَّيْلِ؛ فَبَلَغَ الْمُظْفَرُ شَهَابَ الدِّينِ غَازِي ذَلِكَ، فَتَقَدَّ [مَنْ] أَحْضَرَ الْكُرْدِيَّ وَأَحْضَرَ قِمَاشَ السُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ وَفَرَسَهُ، وَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِقَتْلِ جَمِيعِ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ؛ تَأْدِيبًا لْغَيْرِهِمْ بِحَيْثُ لَا يَعُودُ أَحَدٌ يَجْسُرُ عَلَى الْمُلُوكِ»<sup>(٤)</sup>. وَهَكَذَا أَرَأَى الْمَلِكُ شَهَابَ الدِّينِ الْأَيْبِيِّ دَمَاءَ أَوْلَائِكَ الْأَبْرِيَاءِ لِأَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَتَلَ ذَلِكَ السُّلْطَانَ السَّفَاكَ الْأَشْرِيَّ.

قال وزيره ومؤرخه النسوي في رثائه: «أضحى به جيب الزمان مشقوقاً، وسكر الحدّثان مبهوثاً؛ ولواء الدين مخفوضاً، وبناء الإسلام منقوضاً»<sup>(٥)</sup>. ولخص سبط ابن الجوزي مصيره ومصير عساكره بالقول: «قُتِلَ ثُمَّ تَفَرَّقَتْ عَسَاكِرُهُ أَيْدِي سَبَأٍ؛ وَكَمْ قَتَلَ وَقَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَبَى؛ وَزَالَتْ أَيَّامُهُ، وَبَقِيَتْ آثَامُهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْفَسَادِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ»<sup>(٦)</sup>. ومع أنّ رثاء وزيره النسوي له وتسميته بالشهيد<sup>(٧)</sup> يدلّ على وفاته إلا أننا نجد خبراً يقول إنّ الصوفي أحمد البيبانكي الذي كان يعيش في بغداد منذ سنة ٦٨٨هـ، في صحبة شيخه عبد الرحمن الكسقي الإسفراييني (توفي سنة ٧٠٠هـ)، افتقد شيخه يوماً فسأله عن سبب غيابه، فقال: إنّ جلال الدين منكبّرني قد توفي، أي أنه كان قد ذهب لترتيب

(١) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبّرني: ٢٧١ - ٢٧٢؛ ونزهة المقلتين: ٢١٤.

(٢) جمع كردي.

(٣) قماش: ملابس، وهي مرادف ثياب (تكملة المعاجم العربية: قمش).

(٤) الدر المطلوب في أخبار بني أيوب: ٣٠٣؛ وينظر: مرآة الزمان: ٥٨/١٥.

(٥) سيرة السلطان جلال الدين منكبّرني: ٢.

(٦) مرآة الزمان: ٥٩/١٥.

(٧) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبّرني: ٢٧٢.

عملية دفنه، فسأله: وهل كان جلال الدين حيًّا حتى اليوم؟ فقال الكسركي: إنه الشيخ المُسنِّ الذي يوجد على أنفه خال<sup>(١)</sup>، الذي كان يرتاد مجلسنا ويجلس في الموضوع الفلاني؛ يقول البيبانكي: لطالما شاهدته في ذلك الموضوع من المجلس<sup>(٢)</sup>، أي أنه كان يشاهده لكنه لم يعلم أنه جلال الدين.

### هل كان سدًّا بوجه المغول؟

مع كلِّ المآسي التي أنزلها جلال الدين بالمسلمين، نجد مثلاً ابن واصل يقول: «وكان هذا الرجل مع ما حكيناه من ظلمه وسفكه الدماء، ذا شهامة وعزم وإقدام وهمّة عالية، وكان سدًّا بيننا وبين التتر، فبهلاكه تمكَّنت التترُ من العراق والروم والجزيرة والتطرقُ إلى الشام»<sup>(٣)</sup>؛ ونجد الذهبي يقول: «لقد كان سدًّا بين التتر وبين المسلمين والتفاهم غير مرّة»<sup>(٤)</sup>. وكان هو يصف نفسه أنه «الجُنَّة الواقية، والسدُّ الحائل بين المسلمين وبين التاتار»<sup>(٥)</sup>.

«كان سدًّا»، مع أن ابن واصل والذهبي ذكرا فظائع ممَّا ارتكبه جلال الدين وجيشه بحقَّ المسلمين، فضلاً عن غير المسلمين ممَّا نقلنا بعضه في بحثنا هذا. ترى ما الذي حداهما وغيرهما من المؤرخين على قول مثل هذا الكلام؟

فأين هو السدُّ الذي أقامه جلال الدين بوجه المغول لحماية المسلمين؟

وإنما يصحُّ هذا القول لو كان جلال الدين قد حمى المسلمين من هجمات المغول، ووقف حائلاً بينهم وبين وصولهم إلى المدن والقرى الإسلامية، بينما وجدناه هو وجيشه يغيرون على المسلمين ويرتكبون أشنع الفظائع بحقِّهم، وربما فاق بأفعاله المشينة ما كان يرتكبه المغول وهو ما كان يصرِّح به أغلب المؤرخين المسلمين، ولقد كان

(١) استناداً إلى اللغة التركية الجغتائية فإن «مَنك» تعني الخال، و«بُرون» تعني الأنف (انظر:

فرهنگ نصيري، ١٢٢، ١٩٧)، وعليه، فمن هنا جاء لقبه «مَنكُبرني»، أو «منكوبرني».

(٢) ينظر مجمل التواريخ: ٧٨٥/٢، ٨٥٠، ٩١٢. توفي البيبانكي سنة ٧٣٦هـ.

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٣٢٣/٤.

(٤) تاريخ الإسلام: ٨٥٥/١٣.

(٥) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٧٧.

جلال الدين بأفعاله تلك خيرَ معينٍ للمغول؛ لأنه أضعف قدرة المسلمين على الثبات والمقاومة، إذ اضطروا لمواجهة عدوِّين في آنٍ واحد، نقل سبط ابن الجوزي عن خاله محيي الدين يوسف ابن الجوزي أنَّ الخليفة بعثه إليه برسالة فوصله فوجده يحاصر مدينة خلاط، يقول ابن الجوزي: «فدخلتُ عليه وبين يديه المصحف وهو يقرأ فيه ويبكي، فقلت له: تقرأ في المصحف وتبكي وأنت تفعل بالمسلمين ما تفعل، وقد قتلت في دقوقا عشرين ألف مسلم وسبيت نساءهم وفعلت ما فعلت؟ فقال: هذا عسكر عظيم مسيرة خمسة أيام<sup>(١)</sup>، مالي عليهم طاقة ولا أحكم فيهم، ولا يلتفتون إليَّ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ كثرة الجيش لا تسوِّغ له ارتكاب المجازر والانتهاكات، ولو أنَّ جلال الدين أمر عساكره بعدم الهجوم على مدينة داقوق لامتنعوا عن مهاجمتها. لكنه أراد الانتقام منهم؛ لأنهم شتموه بسبب ما كان يرتكبه وجيشه من المظالم، ولكونه السبب في مجيء المغول إلى البلدان التي يفرُّ إليها. والواضح أنَّ قراءته القرآن كانت تمثيلية أراد بها خداع مبعوث الخليفة لكي ينقل ما رآه لدى عودته إلى الخليفة بالقول إنَّ جلال الدين كان يقرأ القرآن، فهو متدينٌ ذائب في الإيمان!!

ونعتقد أنَّ هدف تلك التمثيلية التي قام بأدائها بين يدي مبعوث الخليفة، أنه ربَّما أراد من الخليفة أن يقربَه ويدعوه للسكنى في بغداد، فيحقق رغبة أبيه وجده بالتحكُّم في الخليفة، فيكون هو الحاكم الفعلي ويكون للخليفة الاسم، وأن يُذكر في خطبة الجمعة. وإلا كيف تنسجم قراءته المزعومة للقرآن وممارسته اللواط علناً وشربه للخمر بصورة جنونية؟ وهل كان يعرف أصلاً قراءة القرآن؟

والأمر الثاني هو أنَّ جلال الدين غادر بلاده هارباً أمام المغول فوصل إلى هذه المدن والقرى التي ابتليت به وبالمغول، ولو بقي في بلاده خوارزم وما حولها يقاوم المغول ويصدِّ محاولاتهم لاجتياح البلاد الإسلامية، أمكن القول إنه كان سَدًّا في وجه المغول، ذلك أنَّ وظيفة السدِّ هي الحيلولة بين الموضع وبين ما يأتيه من خارجه كما هو الحال في السدِّ الذي يمنع الماء من اجتياح موضعٍ ما، لا أن يصبح هذا السدِّ

(١) أي أنه جيش جرار يستغرق مروره في العرض خمسة أيام.

(٢) مرآة الزمان: ٥٩/١٥؛ تاريخ الإسلام: ٨٥٥/١٣.

كثير البشوق، فيوزع فيضاناته على المناطق المحيطة به ويشملها بدماره. وإن جميع البلدان التي ذكرها ابن واصل وقال إن التتر اجتاحتها بعد موت جلال الدين وهي العراق والروم والجزيرة والشام، كان جيش جلال الدين وكذلك الجيش المغولي الذي كان يطارده لإلقاء القبض عليه وقتله قد اجتاحتها قبل ذلك التاريخ. فقد كان الجيش المغولي خلال المطاردة يجتاح هذه المدينة وتلك القرية ممّا يصادفه في طريقه؛ كما رأينا أنّ ما فعله جند جلال الدين بتلك المناطق المنكوبة به لم يكن أقلّ ممّا كان يفعله الجند المغول، بل كان جيشه يهاجم في أغلب الأحيان المدن والقرى نفسها التي يهاجمها المغول، فكان يسبقهم إلى ذلك حيناً وكانوا يسبقونه إليه حيناً آخر، ومرّبّ بنا ما كان يفعله من إزهاق للأرواح وتدمير للمدن والقرى في العراق وجنوبي إيران وبلاد الشام ومناطق أُخر، وضرّبنا مثلاً بما ارتكبه سنة ٦٢٢هـ.

ومن المستحيل التصديق بما يقال من أنه كان سدّاً بين المسلمين والمغول. فالرجل كان يشاغل المغول في تلك البقاع مدافعاً عن نفسه وجيشه فحسب بحكم فراره منهم، ولم يكن يحول بين المغول وبين المسلمين ومدنهم وقراهم، فلما قُتل تفرّغ المغول بشكل تام لاجتياح البلدان وإسقاط العروش، فهذا ملك دمشق الأشرف موسى بن شاه أرمن ابن الملك العادل الأيوبي (حكم في السنوات ٦٢٦ - ٦٣٥هـ)، الذي كان قد حارب جلال الدين<sup>(١)</sup>، يقول بعد أن قدّم له أصحابه التهنئة بهزيمة جلال الدين أمام الجيش المغولي: «تهنئوني به وتفرحون؟ سوف ترون غيبه والله، لتكون هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام<sup>(٢)</sup>، ما كان الخوارزمي إلا مثل السدّ الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج<sup>(٣)</sup>. كيف يقول الأشرف هذا الكلام وقد اكتوت المناطق التي يحكمها في بلاد الشام بما ارتكبه جلال الدين وجيشه من جرائم بحق سكّانها ممّا هو شبيه بجرائم التتار أو ما زاد في فظاعته على جرائمهم؟

وسنجد - فيما سيروى لاحقاً - أنّ مقاتلاً قديراً مثل السلطان قُطز كان يعدّ نفسه أنه

(١) ينظر تحفة ذوي الأبواب: ١٢٣/٢ - ١٢٤.

(٢) وكأنّ المغول لم يدخلوا بلاد الإسلام وانتظروا إلى أن قُتل جلال الدين فأغاروا عليها. ما هذا الكلام؟!

(٣) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٢٧٧/٦.

ابن أخت خوارزم شاه ويقول: «أنا الذي أكرس التتر وأخذ بثأر خالي خوارزم شاه»<sup>(١)</sup>. ونجد الذهبي يقول في وصف شامل لشخصيته: «قاوم التتار في أول حُدِّهم وحثَّهم، وافتتح غير مدينة وسفك الدماء وظلم وعسف وغدر، ومع ذلك كان صحيح الإسلام، كان ربَّما قرأ في المصحف ويبيكي»<sup>(٢)</sup>. فالذهبي مع إقراره بسفكه الدماء وظلمه وغدره، اتخذ من تلك الرواية التي قال ابن الجوزي فيها إنه شاهده يقرأ القرآن ويبيكي، دليلاً على صحة إسلامه؛ وهو شبيه قوله (أي الذهبي) في الوليد بن عبد الملك: «كان الوليد جبَّاراً ظالماً، لكنه أقام الجهادَ في أيامه، وفُتحت في خلافته فتوحات عظيمة»<sup>(٣)</sup>. وإننا نجد في عصرنا من يتغنَّى ببطولاته بالعبارات الإنشائية التي لا علاقة لها بحقائق التاريخ؛ فبعد كلِّ هذه الكوارث التي ألحقها جلال الدين بالمدن والقرى الإسلامية خلال عملية هروبه من المغول، وقد قلنا إنه كان حرياً به أن يقاتلهم في بلاده حين هاجمها بدل أن يفرَّ هارباً أمامهم ليحتمي بالمدن والقرى الإسلامية، نجد الباحث بوزورث - وهو قارئ جيّد للتاريخ الإسلامي - يقول: «قضى جلال الدين - آخر خوارزم شاه - سِنِّيَّ أيام حكمه في القيام بمحاولات بطولية لإيقاف الزحف المغولي على الشرق الأوسط، غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل»<sup>(٤)</sup>؟

ونجد الدكتور عصام الدين الفقِّي يقول: «في تقييمنا لجلال الدين منكبرتي، نرى أن هذا السلطان أوتي من الشجاعة والقوة والصبر والإصرار والمثابرة وخفة الحركة وقوة العزيمة والذكاء ما لا يتوقَّر إلا في القليل من الناس، فحارب مع أبيه وبعد أن تولَّى السلطنة؛ ظلَّ طوال حياته يتنقل من بلد إلى بلد يحارب ويقاوم الغزو المغولي المدمر ويقاوم المسلمين الذين ناصبوه العداة...؛ وإذا كان عنيفاً مع خصمه فهذه طبيعة العصر، العنف والقسوة...، كان يوم موته يوماً تأثَّر به كلُّ مسلم ونسجوا الأساطير حول موته سنين عدداً، ولم يصدِّق بعضُ الناس موته»<sup>(٥)</sup>.

(١) ذيل مرآة الزمان: ٣٦٩/١؛ وتاريخ الإسلام: ٨٨٧/١٤.

(٢) العبر، الذهبي: ١١٤/٥.

(٣) تاريخ الإسلام: ١١٨٥/٢.

(٤) السلالات الإسلامية الحاكمة، بوزورث: ٢٣٢.

(٥) الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، الفقِّي: ١٨٨. والفقِّي هو أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

وإنما يصح هذا الكلام لو كان جلال الدين هو الذي يطارد المغول فيهربون منه ويبادر هو لملاحقتهم، لكن ما حدث هو العكس تماماً.

وربما رأى المهتمون بأمر «الفتوحات الإسلامية» في غزواته ما يشير إلى كونه فاتحاً نشر الإسلام في بعض المناطق التي غزاها، كالقول إنه «استولى على تفليس والباق المحيطة بها وهدم الكنائس وأقام المساجد بدلاً منها»<sup>(١)</sup>؛ وهذا أمر لا يُسرُّ به أحد بعد أن عرفنا ما كان يرتكبه وجيشه من مجازر بحق الشعوب وخصوصاً في تفليس التي ظلم فيها المسلمين والمسيحيين. كما لا يعني شيئاً القول إنه أمر أحد كبار الأمراء لديه بأن يبنى مدرسة في أصفهان وسلّمه لتنفيذ ذلك المشروع مبلغاً ضخماً<sup>(٢)</sup>؛ لأننا نعلم أنه سلب تلك الأموال من الشعوب المنكوبة به وبجيشه، وذكر النسوي أنه أراد نقل جثمان أبيه ليُدفن في هذه المدرسة وتُقام قبة على قبره ومقبرة فخمة ذات مرافق وتشيّفات، برغم أن النسوي يؤكّد أيضاً أن المغول كانوا قد استخرجوا جثته وأرسلوها إلى الخاقان فأحرقها<sup>(٣)</sup>. وربما كان جلال الدين لم يُبلِّغ بخبر استخراج جثته وإحراقها لخوف المحيطين به من إخباره خوفاً من غضبه، فقد كان طائشاً وربما قتل من يخبره بذلك مثلما حدث فيما بعد عندما مات الغلام الذي كان يعشقه حيث كان يقتل كل من يقول له إنه مات.

ومن ذلك أن جلال الدين حين كان قريباً من آذربايجان وبلغه ما كان يفعله الأتراك الأيوائية من لصوصيتهم بقطع الطرق وسنّهم الغارات على المدن القريبة منهم، إذ سيطروا على أستر وأرومية من نواحي آذربايجان، وأخذوا الخراج من خوي وكان عددهم زهاء ١٠٠٠٠، فباغتهم وعنّم من مواشيهم مئة وخمسين ألفاً «وأخذهم السيف من كل جانب، فأكثروا القتل فيهم والنهب والسبي واسترقوا الحرير والأولاد، وأخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر»<sup>(٤)</sup>. ولا يعني ذلك أنه انتصر للمظلومين الذين ظلمهم

(١) روضة أولي الألباب: ٣٨٠.

(٢) ينظر تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطي: ٤٦٠/٥، (حوادث سنة ٦٢٦هـ).

(٣) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢١٨ - ٢١٩؛ ونزهة المقلتين: ٢٠٨ - ٢٠٩، ويُعتقد أن

نقل الجثمان حدث على عهد الخان أوكتاي بن چنكيز خان.

(٤) الكامل في التاريخ: ٤٦٢/١٢؛ وسيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٤٩ - ١٥٠؛ ونزهة

المقلتين: ١٦٤.

هؤلاء الأتراك الأيوائية، بل إن المسألة يمكن تلخيصها بكونه وجد نفسه قادراً على مهاجمتهم فهاجمهم وغنم ما لديهم من ثروات له ولمن معه، وهو ما كان يفعله طوال حياته هو وأفراد جيشه ممن احترقوا للصوصية والزنى واللواط وإدمان شرب الخمر.

### ما بعد الهزيمة

قُتل جلال الدين منكبُرني الخوارزمي، مما أدى إلى غياب الذريعة التي كان المغول يتحججون بها للبقاء في المناطق التي كانوا يلاحقونه فيها، لكنَّ الجند المغول لم يتوقفوا عن العيث فساداً وقتلاً ونهباً في تلك المناطق، بل إنَّ الرعب الذي أثاروه بارتكابهم الفظائع بحق أهالي تلك المناطق جعل الخوف يهيمن على الناس، فكان العدد القليل من المغول يهزم العدد الغفير من الناس الذين تخاذل الجميع عن حمايتهم بمن فيهم الخليفة، يقول المؤرخ المعاصر لتلك الحقبة ابن نظيف: «وأما التتر فإنهم قصدوا الجهة التي قصدها الخوارزمي، ودخلوا الجزيرة ونهبوا وقتلوا وسبوا وعاثوا في البلاد، وبلغت غاراتهم<sup>(١)</sup> إلى الجبال بسنجان وقاتلوا نصيبين، وجرى لهم بسعد من القتال والقتل والغدر ما تجاوز الحد؛ وما يُعلم مقدار من قتلوه منها وما نهبوه؛ وكذلك دنيسر قتلوا أهلها وسبوه وأحرقوا الجامع، وكان قد احتفى به جماعة فحرقوه في الجملة، وعادوا عن حمية إلى مواضعهم وما وجدوا في الجزيرة من ردِّ ثَمَّ لهم نُشَاباً<sup>(٢)</sup>. وقد ذُكر أنَّ هؤلاء الغوارة<sup>(٣)</sup> ما بلغوا ألف فارس وفعلوا في البلاد ما فعلوه وأخافوا الناس، وارتحلوا من الجزيرة إلى الشام وجلا أهل رأس عين الخابور وغيرهم»<sup>(٤)</sup>.

لم يرسل الخليفة العباسي أحداً لإنقاذ تلك القرى والمدن من هجمات المغول، لكنه تحرك سنة ٦٣٠ هـ للاستيلاء على أربيل وقلعتها عقب وفاة حاكمها مظفر الدين كوكبري، فأرسل جيشاً بقيادة إقبال الشرابي، وحين امتنع اثنان من خدم كوكبري عن تسليم المدينة حاصرهم الجيش، ثم «فتحها عسكر الخليفة - بعد عصيانها - عنوةً، وقتل

(١) غاراتهم: غاراتهم.

(٢) النُّشَاب: السَّهم.

(٣) الغوارة: المُغِيرُون.

(٤) التاريخ المنصوري: ٢٢٩ - ٢٣٠.

خلقاً كثيراً وأحرقوا ونهبوا نهباً عظيماً؛ وبقي فيها الشرابي وقشتمر وخواص الدولة»<sup>(١)</sup>. وقال سبط ابن الجوزي: «فُتِحَتْ عَنوَةٌ وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهوان»<sup>(٢)</sup>. وبحسب مؤرخ مسيحي معاصر للوقائع فإن جنود الخليفة حينما دخلوا المدينة شرعوا يضربون بالسيف سكانها حتى باد معظم الشعب بالقتل الأليم، وأضرموا النار في المدينة»<sup>(٣)</sup>. ولقد زُفَّت البشائر وُزِنَتْ بغداد العاصمة حينما وصل إليها خبر فتحها، وهو ما كان مدعاة لتقريع الكاتب ابن الطقطقى الذي رأى في فرح الدولة بنصر صغير كهذا دلالة على ضعفها، فقال: «فُضِرِبَت البشائر ببغداد يوم وصول الطائر بفتحها. فانظر دولة تُضَرَّبُ البشائر على أبواب صاحبها ويُرَبَّنُ البلد لأجل فتح قلعة إربل التي هي اليوم في هذه الدولة من أحقر الأعمال وأصغرها وأهونها»<sup>(٤)</sup>؛ أي أن ابن الطقطقى لم ينتصر للدماء التي أريقَت ولم يحتج على استباحة الجنود العباسيين المدينة والقلعة وما قتلوا من الأنفس وانتهكوا من الأعراض وما أحرقوا من الممتلكات، وإنما يعيِّرهم لأن الاستيلاء على مدينة صغيرة لا يستحق أن تُزَفَ لأجله البشائر وتُفرع الطبول.

وهكذا تضافر جنود الخليفة العباسي والخورزميون والمغول على شعوب المنطقة ومدنها وقراها، وأزهقت الأرواح واغتصبت النساء والأبكار ودُبح الأطفال ومَن بقي حياً أخذ أسيراً وبيع عبداً وأمه في سوق النخاسة يُنقل من بلد إلى بلد، ودُمِّرت المدن والحضارات، وانهارت مجتمعات وتغيَّرت أخلاقها، ولم تعلم هذه الشعوب المنكوبة من هو الذي كان سداً من هؤلاء الثلاثة لحمايتهم (الخليفة أم جلال الدين أم المغول) وبوجه من؟ ولماذا كانت هذه السدود الثلاثة على الدوام تفتح على الشعوب فتغرقها بسيول الدماء والمآسي والكوارث؟

(١) التاريخ المنصوري: ٢٥٣؛ وتاريخ الإسلام: ١٣ / ٦٦٠.

(٢) مرآة الزمان: ٦٨٣/٨؛ وكتاب الحوادث: ٧١ - ٧٢.

(٣) تاريخ الرهاوي المجهول: ٢٧٠.

(٤) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن الطقطقى: ٣٢.

## المهووس الجنسي

برغم أن السلطان جلال الدين كان يلقب نفسه في صدور الرسائل التي يبعث بها إلى الملوك والخلفاء وغيرهم بعبارة «جلال الدنيا والدين»<sup>(١)</sup>، لكنه كان أبعد ما يكون عن الدين، فقد «كان طول عمره مشتغلاً باللهو والطرب»<sup>(٢)</sup>، بل بما هو أفضح من ذلك من الفسق الفجور. ويتحدث ابن الأثير عن أخريات أيامه فيقول إن بعض عساكره اختلفوا معه ومنهم وزيره فخرجوا عن طاعته، ويقول إن السبب كان غريباً، وهو مملوك خصي هام به جلال الدين عشقاً اسمه قلع<sup>(٣)</sup>، وكان «مليح الصورة إلى نهاية»<sup>(٤)</sup>، وسنفضل خبره. والحقيقة فإن هذا المملوك لم يكن السبب الوحيد في فساد عقله، فقد كان مهووساً جنسياً، وهي الحالة التي وصفها مؤرخه النسوي بالقول: «كان رحمه الله نكوحاً لا يقف عند ذلك في قيد الكُفأة»<sup>(٥)</sup>. فحين غادر الهند ووصل قريباً من كرمان سنة ٦٢١هـ أرسل إلى حاكمها براق الحاجب يطلب إليه أن يزوجه ابنته، لكن الحاكم أغلق أبواب المدينة بوجهه مما اضطره للذهاب إلى إقليم فارس، وتقدم أيضاً إلى الحاكم هناك بطلب يد ابنته، ويبدو أن الأمر لم يتم فذهب وأقام في بلاد الري مدّة، ثم توجه نحو بغداد واصطدم بقوة عسكرية أرسلها الخليفة وقتل قائدها، ومن هناك ذهب إلى أصفهان، ثم توجه إلى تبريز فهرب حاكمها وترك زوجته التي كانت ابنة السلطان السلجوقي طغرل بن أرسلان في المدينة فحاصرها جلال الدين؛ وخلال الحصار خرجت زوجة الحاكم من سور المدينة والتقت جلال الدين، فعشقتة وقالت إن زوجها السلطان تركها، وذكر أنها قالت إنه طلقها، وتزوجت جلال الدين وسلّمته مدينة تبريز، وعندما وصل هذا الخبر لزوجها مات في الحال<sup>(٦)</sup>.

(١) التاريخ المنصوري: ١٧٠.

(٢) مفرج الكروب: ٣١٧/٤.

(٣) ينظر الكامل في التاريخ: ٤٩٦/١٢.

(٤) التاريخ المنصوري: ٢١٤.

(٥) سيرة السلطان جلال الدين منقُبرني: ٢١٢.

(٦) ينظر مجمل التواريخ: ٧٧٦/٢ - ٧٧٨؛ و نزهة المقلتين، أبو شامة: ١٥٧؛ يقول ابن الأثير: «إنما صخ له نكاحها لأنه ثبت عن أوزبك [زوجها] أنه حلف بطلاقها أنه لا يقتل مملوكاً له اسمه... ثم قتله؛ فلما وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين» (الكامل في التاريخ: ٤٣٧/١٢؛ وينظر مفرج الكروب، ١٥٥/٤).

يقول ابن الأثير في هذا: «إِنَّ التتر «استولوا على الريّ وهمذان وما بينهما من البلاد، ثم قصدوا آذربايجان فخرّبوا ونهبوا وقتلوا مَنْ ظفروا به من أهلها، وجلال الدين لا يُقدِّم على أن يلقاهم ولا يقدِّر على منعهم على البلاد قد ملئ رعباً وخوفاً، وانضاف إلى ذلك أن عسكره اختلفوا عليه، وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر؛ وكان السبب أن (أمراً) غريباً أظهر من قلّة عقل جلال الدين ما لم يُسمع بمثله، وذلك أنه كان له خادم خصيّ وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج، فاتفق أن الخادم مات، فأظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يُسمع بمثله ولا لمجنون ليلي، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رَجَالَةً - وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ<sup>(١)</sup> - فمشى الناس رَجَالَةً، ومشى (جلال الدين) بعض الطريق راجلاً فألزمه أمراؤه ووزيره بالركوب، فلما وصل إلى تبريز أرسل إلى أهل البلد، فأمرهم بالخروج عن البلد لتلقّي تابوت الخادم، ففعلوا، فأنكر عليهم حيث لم يُبعدوا<sup>(٢)</sup> ولم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر ممّا فعلوا، وأراد معاقبتهم على ذلك، فشفع فيهم أمراؤه فتركهم. ثم لم يدفن ذلك الخصيّ وإنما كان يستصحب جثته معه أين سار وهو يلطم ويبيكي، فامتنع من الأكل والشراب، وكان إذا قُدِّم له طعام يقول: احملوا من هذا إلى قلج. ولا يتجاسر أحد أن يقول إنه مات، فإنه قيل له مرةً: إنه مات، فقَتَلَ القائل له ذلك، إنما كانوا يحملون إليه الطعام ويعودون يقولون: إنه يقبل الأرض ويقول: إنني أصلح ممّا كنتُ. وكان جلال الدين بقي عقب وفاته «أياماً لا يركب ولا يراه أحد، وقيل إنه قطع بعض شَعْرِهِ عليه لحُزْنِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فَلَحِقَ امرأه من الغيظ والأنفة من هذه الحالة ما حَمَلَهُمْ على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره، فبقي حيران لا يدري ما يصنع لا سيّما لما خرج التتر، فحينئذٍ دَقَنَ الغلامَ الخصيّ وراسل الوزير واستماله وخَدَعَهُ إلى أن حضر عنده، فلما وصل إليه بقي أياماً وقتله»<sup>(٤)</sup>.

(١) مات في مدينة خوي كما يقول ابن نظيف الحمويّ في التاريخ المنصوري: ٢١٤.

(٢) لم يبعدوا: لم يمشوا مسافة طويلة خلف التابوت، وكان عليهم من وجهة نظره أن يمشوا مسافةً أطول.

(٣) التاريخ المنصوري: ٢١٤.

(٤) الكامل في التاريخ: ٤٩٦/١٢؛ عن هذه الواقعة الجنسية ينظر: مفرج الكروب: ٣١٨/٤ - ٣٢٠؛

كل هذا يدلُّ على أنَّ جلال الدين كان بوهيمياً، بل بهيمياً متمحوراً حول ذاته ولذاته وشهوته، ولم يكن يعبأ بدين أو عُرف أو ميثاق شرف، وكان جيشه مثله.

### الخوارزمية بعد مقتل جلال الدين: مرتزقة للبيع

الأمر المأساوي الآخر هو أنه عقب مقتل السلطان جلال الدين هذا فإنَّ أفراد جيشه لم يبادروا للعودة إلى وطنهم خوارزم، بل انتشروا في مناطق الشام والجزيرة وغيرها يبيعون خدماتهم لمن يشتري من الملوك والأمراء في بلاد الشام؛ بل إننا نجد المؤرخ ابن نزيك الحموي في حوادث سنة ٦٣٠ هـ أي على عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله، يقول: «فيها استخدم الخليفة أربعة آلاف فارس من الخوارزمية كما نقل الناقل»<sup>(١)</sup>.

لقد زرع جلال الدين في هذه البقاع كارثتين دائمتين ستظلان تعيثان خراباً وفساداً فيه: أفراد جيشه الخوارزمية، وقطعات الجيش المغولي التي ظلت تطارده من حدود الهند وأفغانستان وما وراء النهر حتى العراق وبلاد الشام والبلدان المجاورة لها، وتكمن خطورة هذين الجيشين أنَّ أفرادهما لم يكن يردعهم رادع من دين أو أخلاق أو عرف اجتماعي، كانوا حشوداً من حثالات الأرض. لقد وصف الذهبي الخوارزميين بأنهم: «كالتتر في الغدر والمكر والقتل والنهب»<sup>(٢)</sup>. كان كلا الجيشين محترفي إجرام وتدمير ولا حرمة لديهم للدماء والأعراض والأموال.

ظلَّ الخوارزمية عقوداً في المنطقة يمارسون إفسادهم وفسقهم وفجورهم في القرى والأرياف وممارستهم بشكل منظمَّ النهب والسلب لضمان مداخيل ثابتة لهم من الغنائم التي كانوا يغنمونها من المدن والقرى الإسلامية، ولقد وُفقَّ الذهبي كثيراً عندما لخصَّ حالهم ضمن وقائع سنة ٦٣٩ هـ بقوله: «وأما الخوارزمية، فزالَت دولتهم وتمزقوا وقُطِشتْ أذنابُهم وبقوا حرامية يقتلون ويسبون الحرير ويفعلون كلَّ قبيح...، قد خربوا بلاد الموصل وقراها وماردين...، ونُهبت نصيبين وسُبي أهلها وقد نُهبت قبلها مراراً من

والمختصر من الكامل في التاريخ: ١٥٢ - ١٥٣؛ والدر المطلوب في أخبار بني أيوب: ٣٠٣؛

وتاريخ الإسلام: ٨٥٥/١٣؛ والعسجد المسبوك: ٤٤٤.

(١) التاريخ المنصوري: ٢٦٠.

(٢) تاريخ الإسلام: ٣٥٤/١٤.

المواصلَة والخوارزمية، ثم فعلوا كذلك برأس العين والخابور وجرت قبائح<sup>(١)</sup>. ولم تنج البلاد من شرور هؤلاء الخوارزمية إلا عندما حشد ملك حمص الملك المنصور إبراهيم الأيوبي لمواجهتهم جيشاً، وألحق بهم الهزيمة النكراء في موضع عين القصب قريباً من حمص سنة ٦٤٤هـ «فتبدد شملهم، وانقطع دابرهم، فلم تقم لهم بعدها قائمة»، كما يقول ابن واصل الذي يختم بالقول: جماعة من هؤلاء الخوارزميين المنهزمين اتصلوا بالترت وأصبحوا في خدمتهم، وجماعة أخرى ذهبوا إلى مصر للخدمة في جيشها، بينما بقيت جماعة أخرى للخدمة في بلاد الشام<sup>(٢)</sup>.

### تغيير الأنسجة الاجتماعية وتشجيع الصراعات العسكرية

الأمر الأكثر خطورة هو عقد بعض حكام تلك المناطق تحالفات مع فلول الخوارزمية هؤلاء، واستخدامهم وسيلة لتحقيق مطامحهم ومطامعهم بالاستيلاء على هذه البلاد والمدينة أو تلك. فهذه القوة العسكرية الهائلة في المنطقة الباحثة دوماً وأبداً عن التموين والأموال وما يجعل أفرادها يواصلون الحياة، كانوا يبادرون إلى نهب المدن والقرى من غير تمييز، وكما قلنا، فقد كان الحريّ بهم بعد مقتل زعيمهم جلال الدين أن يعودوا إلى مواطنهم الأصلية في خوارزم وسمرقند وغيرها، لكنهم كانوا خائفين من العودة لاحتمال اصطدامهم بالتجمعات العسكرية المغولية التي كانت قد انتشرت في كل مكان، هذه التجمعات التي كانوا هم السبب في مجيئهم إلى بقاع البلاد الإسلامية النائية عنهم في العراق والشام وما جاورهما خلال مرافقتهم جلال الدين في هروبه منهم؛ ولذا فقد رأوا أن بقاءهم في المنطقة يضمن لهم العيش الرغيد المجاني من خلال سلب القرى والمدن واستغلال سكّانها، أو من خلال عملهم مرتزقة للقوى المتصارعة في العراق والشام ومصر.

كان الجنود الخوارزميون بلا عقيدة قتالية، يشكّلون مجموعة مرتزقة ينضمّون إلى

(١) تاريخ الإسلام: ٢٩/١٤ - ٣١. والخبر طويل وقد اختصرناه. قطشت تعني هنا قُطعت، وهي كلمة عامية تقال للشخص غير المحترم؛ وفي تفسيره كلمة الأزعر، ينقل دوزي من ألف ليلة وليلة: «أزعر: أبتّر، مقطوع الذنب». (تكملة المعاجم العربية: زعر).

(٢) ينظر مفرج الكروب: ٣٥٩/٥؛ و زبدة الحلب من تاريخ حلب: ٢٥٨/٣؛ والمذيل على الروضتين: ٧٩/٢.

أيّ جيش، ومستعدون لتدمير أيّ بلاد وإراقة دماء أيّ إنسان وسبي النساء والولدان ونهب الممتلكات.

ومنذ أن قَسَم صلاح الدين البلاد الشامية والمصرية إقطاعاتٍ بين أبنائه وبعض أفراد أسرته ليصبحوا ملوكاً فيها، احتدمت الصراعات بينهم ممّا أدّى إلى أن تعيش البلاد الشامية والمصرية والعراقية الرُّعب جرّاء الحروب الدامية التي نشبت بينهم للاستحواذ على إقطاعية هذا أو ذاك، وهو ما يسمّيه رنسيما «الحرب الأهلية بين الأيوبيين»<sup>(١)</sup>، ويكفي أن نذكر أن الملك الصالح الأيوبي حينما كان في دمشق وجاء الملك الكامل الأيوبي وحاصرها (سنة ٦٣٥هـ)، أرسل ملك حمص الملك المجاهد الأيوبي نجدة للصالح، فألقى جنود الكامل القبض على بعضهم، فشنق الكامل منهم خمسين جندياً في يوم واحد<sup>(٢)</sup>؛ هذا والصليبيون ما زالوا في بعض المدن الشامية والمصرية وكان بالإمكان الاستفادة من هؤلاء الجنود في قتال الصليبيين بدل إعدامهم العبثي هذا، فضلاً عن قتل سكّان دمشق والدمار والإحراق الذي طال المدينة بسبب الحصار<sup>(٣)</sup>. هذا مع أن حال أهل دمشق في ظلّ حكم الصالح إسماعيل كان سيئاً جداً، فقد «عَسَفَ رعيّتها وظلّمهم، وأعاناه على ذلك وزيره أمين الدولة الذي كان سامرياً وأسلم، وقاضبها المعروف بالرفيع الجيلي»<sup>(٤)</sup>.

ولمّا كانت القوة الخوارزمية موجودة على الأرض في بلاد الشام، فقد شجّع وجودها استمرار الصراعات بين الإخوة الأعداء من الملوك الأيوبيين؛ لكونها قوة مرتزقة ضاربة يمكن لأيّ طرف تَشحُّ لديه العساكر أن يستعين بها بدفع أموالٍ أو إقطاعات لضباطها وجنودها لتنفيذ صراعاته مع أشقائه وأعمامه وبقية أفراد أسرته.

(١) الحملات الصليبية، رنسيما: ٢٦١/٣.

(٢) المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته: ١٧١؛ مفرج الكروب، ١٥١/٥، ثم علّل ابن واصل إعدام هؤلاء الجنود بالقول: «ولم تكن هذه عادته، وإنما كان مُحرجاً على صاحب حمص». وفسّر محقّقه «مُحرجاً»، بالقول: مُحرجاً: غاضباً على صاحب حمص، من الحَرَج وهو ضيق الصدر، ينظر شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٣١٨.

(٣) عن شيء من هذا الدمار والقتل والإحراق، ينظر التاريخ الصالحيّ: ٣١٠/٢.

(٤) بغية الطلب: ١٨٠٩/٤.

يقول المقرئزي عن غزوهم حلب ومنبج سنة ٦٣٨هـ: «وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل، فصاروا نحو الاثني عشر ألفاً وقصدوا حلب، فخرج إليهم [عسكر] من حلب فانكسر وقتل أكثره وغنم الخوارزمية ما معهم، فامتنع الناس<sup>(١)</sup> بمدينة حلب وانتهت أعمال حلب وفُعل فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب، ووضعوا السيف في أهل منبج وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس، وخبروا وارتكبوا الفواحش بالنساء في الجامع علانيةً وقتلوا الأطفال، وعادوا وقد خرب ما حول حلب»<sup>(٢)</sup>، ويقول إنهم عقب هزيمتهم على يد حاكم حلب، ذهبوا إلى مدينة عانة العراقية، وكانت تابعة للخليفة المستنصر بعد أن باعها له بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل لقاءً مالٍ أخذه منه<sup>(٣)</sup>، ثم إنهم بعد ذلك ساروا سنة ٦٣٩هـ مع الملك شهاب الدين غازي الأيوبي إلى الموصل فنهبوا قراها واستاقوا مواشيها<sup>(٤)</sup>. وفي حوادث ٦٤١هـ: «عاثت الخوارزمية بقري الشام»، وعاثوا فيها أيضاً سنة ٦٤٤هـ<sup>(٥)</sup>.

بل إن بعض الحكام الأيوبيين استعان بالجيوش الصليبية التي كانت تحتل بعض المدن والبقاع في بلاد الشام، لكي يحارب حاكماً أيوبياً آخر؛ ففي خلال الصراع بين الملكين الأيوبيين الصالح نجم الدين ملك مصر وعمه الصالح عماد الدين إسماعيل ملك دمشق سنة ٦٤٢هـ، استنجد نجم الدين بالخوارزمية وبعث إليهم «النفقة والخلع والخيال، وأمدهم بجيش من عنده، وأمرهم أن ينازلوا بدمشق»<sup>(٦)</sup>، فخاف الصالح من ذلك فطلب مساعدة الصليبيين «واتفق معهم على معاضدته ومساعدته ومحاربة صاحب مصر، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها وقلعة الشقيف وبلادها، ومنافسةً صيدا وطبرية وأعمالها وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل»<sup>(٧)</sup>، وكانوا قد سلموهم قبل ذلك

(١) امتنع الناس بحلب، أي تحصنوا فيها.

(٢) السلوك: (٢١/٣٠٣)؛ وينظر مرآة الزمان: ١١٧/١٥. ما بين عضادتين زيادة من مرآة الزمان.

(٣) ينظر مفرج الكروب: ٢٨١/٥.

(٤) ينظر مفرج الكروب: ٣٠٦/٥.

(٥) ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧٥/٢٣، ١٧٧.

(٦) تاريخ الإسلام: ٣٤٧/١٤؛ وينظر: مرآة الزمان: ١٢٨/١٥؛ ومفرج الكروب: ٣٣٦/٥؛ وتاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ١٨٩.

(٧) السلوك: (٢١/٣٠٣)؛ وينظر: أخبار الأيوبيين، جرجس بن العميد المكين: ٣١؛ ومفرج الكروب: ٣٠٢/٥؛

عسقلان سنة ٦٤١هـ<sup>(١)</sup>، وقد شارك الملك إسماعيل في هذا الاتفاق مع الصليبيين كل من الملك الناصر داود الأيوبي والملك المنصور الأيوبي ملك حمص، فشكّلوا جيشاً واحداً لمواجهة الملك نجم الدين أيوب والخوارزميين<sup>(٢)</sup>؛ وانطلقوا تحت أعلام الصليبيين وعلى رؤوس الجميع الصُّلبان، بينما كان القساوسة «يصلُّون على المسلمين ويقسِّسون عليهم، وبأيديهم كاسات الخمر والهَنَابَات يسقونهم»<sup>(٣)</sup>.

سار الخوارزميون «وكان عددهم يومئذ يزيد على عشرة آلاف فارس، وانضمَّ إليهم جماعة من الأمراء القَيْمَرِيَّة وجماعة كثيرة من أصحابهم وأتباعهم...، فأجفل الناس بين أيديهم»<sup>(٤)</sup>، وما مرُّوا بموضع إلا ونهبوه وعاثوا فيه»<sup>(٥)</sup>، وانضمَّ إليهم جيش الملك الصالح أيوب.

كانت هناك مجموعة من العساكر التابعة للملك الصالح إسماعيل في غزّة فغادروها متجهين إلى دمشق لتعزيز دفاعاتها، ولما لم يتمكن الجيش الخوارزمي من احتلال دمشق بسبب أنّ الملك الصالح إسماعيل قد حصَّنَهَا تحصيناً جيداً<sup>(٦)</sup> «واصلوا زحفهم داخل الجليل واستولوا في طريقهم على طبرية، وجنوباً خلال نابلس باتجاه القدس»<sup>(٧)</sup>، ثم اصطدم الجيشان «في مكان يُقال له أربيا بين غزّة وعسقلان، وكان الفرنج في الميمنة، وعسكر الناصر داود في الميسرة، وصاحب حمص في القلب؛ وكان يوماً عظيماً، لم يَجْرِ

وسير أعلام النبلاء: ١٦٦/٢٣، وتاريخ الإسلام: ٢٧/١٤، ٣٤٦ - ٣٤٧، وتاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ١٩٠؛ وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٣٢٥.

(١) ينظر مفرج الكروب: ٣٢٢/٥.

(٢) ينظر مرآة الزمان: ٣٨١/٢٢.

(٣) مرآة الزمان: ٣٨٢/٢٢؛ ونهاية الأرب، النويري: ١٩٨/٢٩. يقسسون عليهم أي يصدرون إليهم الأوامر؛ الهنابات مفردا الهَنَابَة وهو الفدح الضخم. (تكملة المعاجم العربية: (قسس)، و(هنب).

(٤) في مختار الصحاح للرازي (جَفَل): أجفل القوم: هربوا مسرعين.

(٥) مفرج الكروب: ٣٣٧/٥؛ وينظر السلوك: ٣١٦/(٢)١. والقيمرية نسبة إلى قَيْمَر وهي «قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط، ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط، وهم أكراد». (معجم البلدان: ٢١٨/٤).

(٦) ينظر تاريخ الإسلام: ٣٤٥/١٤، (حوادث سنة ٦٤١هـ).

(٧) تاريخ الحملات الصليبية: ٢٧٣/٣.

في الإسلام بالشام مثله، واقتتلوا. فانكسرت الميسرة...، ثم انهزم صاحب حمص، وكان العسكر المصري قد انهزم، ووصل إلى قرب العريش، وثبتت الخوارزمية والفرنج، واقتتلوا، فمالت الخوارزمية عليهم بالسيوف، يقتلونهم كيف شاؤوا». وقد انتصر الخوارزمية وأسروا ما يزيد على ٨٠٠ من الفرنج، فبعثوا بهم مع رؤوس القتلى إلى مصر<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هذا الانتصار الخوارزمي بامتياز هو الذي أدى بالفرنج الذين كانوا موجودين في القدس - حيث كان الملك الكامل الأيوبي قد سلمهم مدينة القدس سنة ٦٢٦هـ<sup>(٢)</sup> - إلى الهرب من المدينة «فهجم الخوارزمية على القدس، وبذلوا السيوف في من كان به من النصارى حتى أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد وهدموا المباني التي في قمامة<sup>(٣)</sup>، ونبشوا قبور النصارى وأحرقوا رممهم<sup>(٤)</sup>». وهكذا قُدر للقدس أن تخرج من أيدي الصليبيين على أيدي الخوارزمية في معركة مفاجئة لم يُخطط لها، على أن نسجل بأن الخوارزمية مارسوا في دخولهم المدينة ما عُرف عنهم من قسوة ووحشية بحق المدنيين، يقول رنسيمان: إنهم «شقوا طريقهم إلى دير القديس جيمس الأرميني وقتلوا الرهبان والراهبات»، وبطلب من الحاكم الفرنجي تقدّم به إلى الملك الناصر الذي كان متحالفاً مع الإفرنج آنذاك، «أرسل الناصر بعض جنوده الذين هدّدوا الخوارزميين إلى أن عرضوا على الحامية (الإفرنجية) مروراً آمناً في حالة استسلام القلعة»، ويضيف أنه بعد ١٢ يوماً من اقتحامهم المدينة «خرجت مسيرة من نحو ٦٠٠٠ مسيحي من الرجال والنساء والأطفال تاركّة المدينة للخوارزميين. وأثناء سيرهم بطول الطريق باتجاه يافا، نظر البعض وراءه وشاهد رايات فرنجية ترفرف فوق الأبراج، فظنّوا أن النجدة قد

(١) ينظر: نهاية الأرب: ١٩٨/٢٩؛ ومرآة الزمان: ١٢٨/١٥؛ و تاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ١٩٠؛ ودول الإسلام: ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) ينظر مرآة الزمان: ٤٥/١٥؛ والدر المطلوب في أخبار بني أيوب: ٢٩٦؛ و شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٣١١.

(٣) المقصود كنيسة القيامة الشهيرة.

(٤) السلوك: ٣١٦/(٢)١؛ ومفرج الكروب: ٣٣٧/٥. عن تطورات معركة القدس، ينظر تاريخ الحملات الصليبية لرنسيمان: ٢٧٤/٣. ويعقب رنسيمان بالقول: «وهكذا خرجت القدس نهائياً من أيدي الفرنج، وانقضى من الزمن قرابة سبعة قرون قبل أن يعبر بوابتها جيش مسيحي مرة أخرى».

وصلت بطريقتي ما، وأصرّ كثيرون على العودة إلى المدينة لا لشيء إلا ليقعوا في كمين أسفل الأسوار، وهلك ألفان تقريباً، وبينما كان الباقون مرتحلين باتجاه البحر هاجمهم عصابات من العرب، ولم يصل إلى يافا سوى ثلاث مئة<sup>(١)</sup>. ومع ذلك علينا أن لا ننسى أن فرسان المعبد من الصليبيين قبل عامين من هذا التاريخ حين لم تعجبهم إقامة الملك الناصر داود نقاطاً عسكرية على الطريق إلى القدس وجباية الرسوم من الحجّاج والتجّار انطلقوا «وانقضّوا على نابلس وانهبوا وحرقوا الجامع الكبير، وقتلوا الكثير من السكّان بمنّ فيهم عدد كبير من المسيحيين الوطنيين»<sup>(٢)</sup>.

كان للجيش المسلم قوانينه في الحروب، لكن لم يكن للخوارزمية إلا عادات المرتزقة من تسليح للمدنيين وتعذيبهم وأسرههم واستعبادهم، ولم يكونوا يتورّعون عن قتلهم؛ وكانت القوات الصليبية أيضاً مثل الخوارزمية في ارتكابهم الفظائع حتى إنّ المؤرّخ البيزنطيّ خونيّاتس (١١٥٥ - ١٢١٣م/٥٥٠ - ٦١٠هـ)، وهو سابق للحقبة التي نحن فيها كان يقول: «إنّ المسلمين أكثر رحمةً وإنسانيّةً من الصليبيين، فعندما استعادوا بيت المقدس عاملوا اللاتين - أي الصليبيين - بلطف ورقة، وحافظوا على حريمهم، ولم ينتهكوا ولم يدنّسوا على الإطلاق قبر المسيح، وحرصوا على عدم دفن موتاهم بجواره؛ هذا بينما في يوم سقوط العاصمة القسطنطينية (١٢٠٤م/٦٠٠هـ) في قبضة هؤلاء اللصوص من العناصر الصليبية أسرعوا بنهب المنازل التي كان يقيم فيها الآمنون، وأكروهوا سكّانها على إرشادهم إلى أماكن إخفاء أموالهم...»، ويقول عن الفارين من المدينة إنهم كانوا «يرتدّون معاطف تتسم بالقدارة، كذلك كانت وجوههم شاحبة يكسوها التعب والإرهاق، وعيونهم حمراً تذرف دماً عوضاً عن الدموع؛ وكان البعض ينوح على أمواله التي سرقها الصليبيون، أمّا البعض الآخر فكان يعتقد أنّ ضياع أمواله لا يستحقّ الأسى والغضب؛ لأنه كان يبكي بمرارة وحزن على خطف ابنته، أو مقتل زوجته، أو أية خسارة مماثلة»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الحملات الصليبية: ٢٧٤/٣.

(٢) تاريخ الحملات الصليبية: ٢٦٩/٣.

(٣) تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الدكتور فايز نجيب إسكندر: ٦٣.

## تغيير النسيج الاجتماعي في البلدان المنكوبة

أدت عمليات الخوارزميين الحربية إلى تغيير النسيج الاجتماعي وخلق معضلات اجتماعية في البلاد التي استباحوها ونكبوها ستستمرّ قروناً بعد ذلك؛ لقد «كانت البلاد منهم في بلاء عظيم من النهب والسبي وسفك الدماء وانتهاك الحرّمات»<sup>(١)</sup>، كانوا إذا هاجموا مدينة أو قرية فَعَلُوا بها فعَلَ المغول وربما أسوأ، يقتلون الرجال ويأخذون الأطفال ليعيهم، أمّا الإناث فكان الغالب عليهم أن يغتصوبهنّ ويفجروا بهنّ في المساجد حصراً<sup>(٢)</sup>، وربما سكروا في المساجد أيضاً؛ لأنّ الخمر كانت معهم حيثما رحلوا.

المرأة تؤخذ سبية لتلبية رغبات الجنود، وطفلها الرضيع قُتل وشقيقه الآخر أخذ سبيّاً لبياع في مدينة أخرى، هذا إذا تمكّن من النجاة من أن يلوّط به الجنود الخوارزميون عديمو الدين الذين كان اللواط بينهم «ليس بقبيح ولا معذوقاً بشرط الكبر والصغر»<sup>(٣)</sup>، وقد احترق بيتها خلال الهجوم، أمّا زوجها فإمّا أن يكون قُتل أو أنه أُخذ أسيراً في الحملة نفسها، فكان يُشاهد زوجته في خيمة الجندي الخوارزمي السكران وهو يزني بها؛ بل إنّ أحد المؤرّخين لخصّ أفعالهم بالقول: «ارتكبوا من الفواحش أكثر ممّا ارتكبه التتر»<sup>(٤)</sup>.

لا شكّ في أنّ الصراعات التي خاضها الحكّام الأيوبيون بسبب أطماع بعضهم بأملآك بعضهم الآخر لتوسيع نطاق ممالكهم، كان لها الأثر البالغ في تثبيت وجود الجنود الخوارزميين؛ فمن كان بيديه حلب، أراد أن يضمّ إليها الكرك وحمص، ومن بيده مصر، أراد أن يضمّ إليها دمشق، وهكذا. وكانوا يستعينون بالخوارزميين في القتال ومحاصرة المدن.

فمثلاً حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبي سنة ٦٤٣هـ استدعاهم (أي استدعى الخوارزمية) لنصرته على عمّه الملك الصالح إسماعيل الأيوبي الذي كان قد استعان قبل ذلك بجيوش الصليبيين والخوارزمية<sup>(٥)</sup> «فحصّر القائد معين الدين ابن الشيخ والخوارزمية دمشق وضايقوها، وقطعت الخوارزمية على الناس الطرق وزحفوا

(١) مفرج الكروب: ٣٥٩/٥.

(٢) ينظر: زبدة الحلب من تاريخ حلب: ٢٥١/٣ - ٢٥٣؛ ومفرج الكروب: ٢٨٦/٥؛ والسلوك: ١(٢)/٣٠٣.

(٣) تاريخ الإسلام: ٨٥٥/١٣، معذوقاً به: مرتبطاً به.

(٤) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٤١١.

(٥) ينظر: مرآة الزمان: ١٢٨/١٥؛ وتحفة أولي الألباب: ١٣٢/٢.

على البلد من كل ناحية»<sup>(١)</sup>، ثم قصفوا المدينة بالمجانيق ورموها بالنيران فاحترقت أجزاء منها ونهبوا أموال الناس ورموا النيران على الطرق فاحترق بعضهم، «وحكي أن رجلاً كان له عشر بنات أباكرا، فقال لهنَّ: اخرجنَّ - يعني لما أحرقت العقبية - فقلنَّ: والله لا نخرج، الحريقُ أولى من الفضيحة؛ فاحترقت الدار واحترقنَّ ولم يخرجنَّ، وجرى على الناس ما لم يجر في بلد آخر»<sup>(٢)</sup>. وكان الوضع مرعباً فقد «ضجر الناس من التمسيل والتكفين، وكانوا يحفرون الآبار ويرمون الناس بعضهم على بعض»<sup>(٣)</sup>.

وشدّدوا «القتال ونَهَب الأعمال وضايقوا دمشق وقطعوا عنها الميرة فاشتدَّ الغلاء بها...، ثم عُدمت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القلط والكلاب والميتات؛ ومات شخص بالسجن فأكله أهل السجن. وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمرَّ هذا البلاء ثلاثة أشهر وصار مَنْ يَمِرُّ من الجبل يشتمُّ ريح نتن الموتى لعجز الناس عن مواراة موتاهم؛ ولم تنقطع مع هذا الخمر والفسوق من بين الناس»<sup>(٤)</sup>.

وكان الفجور وشرب الخمر قائماً في بلاد الشام ومنها دمشق إلى أن طهرَّ الملك المعظم سنة ٦١٥هـ «جميع ولاياته من الخمر والخواطئ والقمار والمكوس والمظالم؛ وكان الحاصل من جهة ذلك بدمشق على الخصوص مئة ألف دينار»<sup>(٥)</sup>؛ لكنَّ نجله الملك المعظم الأيوبي سَمَحَ بها بعد حوالي شهر من وفاة والده<sup>(٦)</sup>. ولا بدَّ أن يكون ذلك سبباً

(١) مرآة الزمان: ١٣٤/١٥؛ ودول الإسلام: ١٤٨.

(٢) مرآة الزمان: ١٣٥/١٥، وقد ذُكرت واقعة احتراق هؤلاء الفتيات في: ١٠٣/١٥، خلال تدمير وإحراق الملك الصالح إسماعيل كثيراً من محلات دمشق سنة ٦٣٥هـ؛ وينظر: تاريخ الإسلام، ٣٥٠/١٤؛ وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ٣١٨، العقبية من محلات دمشق.

(٣) مرآة الزمان: ١٣٦/١٥؛ و تاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ١٩٩، وتاريخ الإسلام: ٣٥١/١٤.

(٤) السلوك: ١(٢)/٣٢٢؛ ومرآة الزمان: ١٣٥/١٥؛ ومفرج الكرب: ٣٥٢/٥ - ٣٥٣؛ والمذيل على الروضتين: ٦٦/٢؛ وتاريخ الإسلام: ٣٥١/١٤؛ وتحفة ذوي الألباب: ١٣٠/٢.

(٥) مرآة الزمان: ٥٨٩/١٤؛ والمذيل على الروضتين: ٣٠٣/١؛ وتاريخ الإسلام: ٤٥٣/١٣.

(٦) ينظر مرآة الزمان: ٥٩١/١٤؛ والمذيل على الروضتين: ٣٠٨/١. وقد عاود هؤلاء نشاطهم في خان ابن الزنجيلي بالعقبية حيث كانت «تباع الخمر ويُعلن فيه بارتكاب الفواحش، فطهره [الملك الأشرف الأيوبي] من ذلك وبنى موضعه جامعاً» (مفرج الكرب: ١٤٣/٥؛ والعسجد المسبوك: ٤٦٤).

لارتياح الخوارزمية في المدينة، الذين كانوا مدمنين على شرب الخمر، وكما نقلنا آنفاً قول الذهبي عن شيوع الزنى واللواط فيهم.

### تعزير الأُحلاف العسكرية

خلال الفوضى الهائلة التي خلّقتها وجود العساكر الخوارزمية في المناطق التي غزوها، استفادوا أحياناً من عامل الجنس لتدعيم تحالفاتهم مع الملوك والأمراء، فحين نقموا على الصالح أيوب لأنهم لم يحصلوا على ما كانوا يتمنون من تحالفهم معه ونصرتهم له، كاتبوا أكبر أمرائه في غزّة في أن يكونوا «هم وهو يداً واحدة ويزوجوه امرأة منهم، فأصغى إليهم فيما قيل وعزم على الخروج عن الطاعة؛ واستمالوا الملك الناصر داود، فمال إليهم واتفق معهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم، إلا أنه رجع إلى الكرك ولم يُقَمَّ معهم»<sup>(١)</sup>، وحدث حيناً أن بادلهم بعض الملوك التصرف نفسه، ومن ذلك ما حدث حين أرسل جلال الدين رسولاً «ومعه خلعة سنّية للملك المعظم، فلبسها وركب بها، وعزم الملك المعظم على تزويج إحدى بناته من جلال الدين، وجرت بينهما مراسلة في ذلك، وصار بينهما اتحاد كلي»<sup>(٢)</sup>، لكن لم يتفق حمل تلك البنت إليه<sup>(٣)</sup>.

### نتيجة البحث

كان الأب علاء الدين خوارزم شاه (والد جلال الدين منكبرني)، قد ورط العالم الإسلامي بأكبر كارثة حلّت به في تاريخه يوم أن أمر واليه على أترار بقتل التجار المسلمين الأربع مئة وخمسين القادمين من بلاد جنكيز خان طمعاً بأموالهم ممّا أدى إلى أن ينتقم جنكيز خان انتقاماً مرعباً، فلم يكتفِ بمعاينة حاكم أترار، بل ظلّ يطارد سلطانه خوارزم شاه الذي كان يفرّ أمامه فيلجأ إلى المدن والقرى التي سرعان ما كان مطاردوه المغول يحتلونها بذريعة محاولة العثور عليه، وكانت نتيجة ذلك احتلال

(١) مفرج الكروب: ٣٥٠/٥؛ وتاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ٢٠٢؛ وتاريخ الإسلام: ٣٥٤/١٤.

(٢) مفرج الكروب: ١٨١/٥.

(٣) ينظر مفرج الكروب: ٢١٩/٤.

المغول حواضرَ مهمة ومدناً وقرى من العالم الإسلامي وتدميرها وتحويلها إلى خرائب بعد أن كانت من أكثر المواضع ازدهاراً في العالم. وأخيراً مات خوارزم شاه شريداً طريداً فقيراً.

حين تولى الحكم نجله جلال الدين منكبُرني قيادة من بقي من الجيش الخوارزمي، وكان المتوقع أن يلجأ إلى صيغة تختلف عن الصيغة التي عالج بها أبوه المواجهة مع المغول بالالتكفاء بالفرار أمامهم. وكان ينبغي أن يخوض معاركه ضد المغول في المناطق التي بدأت بها الاشتباكات في بلاده وما حولها؛ لكنه بعد عدة اشتباكات دامية معهم وخسارته آخر معركة له معهم، كرّر خطأ أبيه نفسه فظلَّ يهرب أمام الجيوش المغولية ممّا تسبب في ملاحقتهم له وتدميرهم البلاد وقتلهم العباد. وزاد على أخطاء أبيه الكارثية أنه غادر بلاده هارباً من المغول وبدأ يلجأ إلى بلاد ومدن نائية لا علاقة لها بالمواقع التي كان يعيش فيها الأتراك في الدولة الخوارزم شاهية، ومن تلك المواضع مدن في بلاد إيران والعراق والشام.

وكان مثل أبيه في إثارته عداء الملوك ضده بتصرفاته، وكما نقلنا من ابن الأثير، فقد «كان سيئ السيرة قبيح التدبير لمُلْكه لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته»، فضلاً عن أنه كان مكروهاً من الناس في المواضع التي حلَّ بها بسبب انشغاله وجنوده بالخمور والانتهاكات وعمليات القتل والنهب والوحشية التي مارسوها في التعامل مع شعوب البلدان التي كان يمرّون بها.

استناداً إلى تصرفاته الجائرة بحق شعوب المناطق التي مرَّ بها أو احتلّها، لم يكن هناك فرق في أن يدخل تلك البلاد والمدن - مسلمة كانت أم غير مسلمة - الجيش المغولي أو جيش جلال الدين منكبُرني؛ فكلا الجيشين كان أفرادهما من الأراذل واللصوص والقتلة الذين أزهقوا الأرواح وانتهكوا الأعراض ودمّروا المدن والقرى.

عندما قُتل جلال الدين قرب آمد (من مدن تركيا الحالية) سنة ٦٢٨هـ، ظلَّ الخوارزمية من فلول جيشه عقوداً في المنطقة يمارسون الفساد والفجور والنهب في القرى والأرياف التي وقفوا عندها بعد مقتل سيدهم لضمان مداخيل ثابتة لهم من الغنائم التي كانوا يغنمونها من المدن والقرى الإسلامية، حتى قال الذهبي عندما لخصَّ

حالمهم: «وأما الخوارزمية، فزالت دولتهم وتمزقوا وقُطِشتْ أذناؤهم وبقوا حرامية يقتلون ويسبون الحرير ويفعلون كلَّ قبيحٍ...». ثم تحولوا إلى مرتزقة يستفيد من خدماتهم الملوك الذين كانوا يحكمون في المناطق التي سكنوها في بلاد الشام وغيرها. هذا فضلاً عن أن جلال الدين بهروبه الطويل مع جيشه أمام المغول، تمكن من إدخالهم إلى مدن وقرى ومواقع ما كانوا سيصلونها لولا حركة الهروب البائسة التي قام بها هذا السلطان الهائم وجيشه.



## المصادر والمراجع

## أ. العربية

١. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني، عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود الشافعي (٦٠٥ - ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت.
٢. أخبار الأيوبيين، المكين، جرجس بن العميد بن إلياس النصراني (٦٠٢ - ٦٧٢هـ)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٨م.
٣. أطلس تاريخ الإسلام، الدكتور مؤنس، حسين، مؤسسة الزهراء للإعلام، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤. الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (٦١٣ - ٦٨٤هـ)، تحقيق يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م.
٥. أعيان العصر وأعيان النصر، الصّدي، خليل بن أبيك الشّافعي (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور عليّ أبو زيد ورفقاه، دار الفكر المعاصر في بيروت، دار الفكر في دمشق، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٦. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، ابن أبي عديّة، أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي (٨١٩ - ٨٥٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان ذنون الثامري والدكتور محمد عبد الله القدحات، دار وُرد، عمّان، ٢٠٠٠م.
٧. البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشيّ الدمشقيّ الشّافعيّ (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، تحقيق عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيليّ الحنفيّ (٥٥٨ - ٦٦٠هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.
٩. بلدان الخلافة الشريفة، لسترنج، غاي (توفي سنة ١٩٣٣م)، ترجمّة بشير يوسف فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقيّ الشّافعيّ (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١١. تاريخ تركستان الشرقية، بوغرا، محمد أمين (١٩٠١ - ١٩٦٥م)، ترجمة محمد قاسم تركستاني، مطابع بهادر، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ.
١٢. تاريخ الحملات الصليبية، زنسيان، ستيفن (١٩٠٣ - ٢٠٠٠م)، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٣. تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (اختيار الذهبية)، ابن الجزي، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي الدمشقي (٦٥٨ - ٧٣٩هـ)، تحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٤. تاريخ الرهاوي المجهول، مجهول (كان حياً سنة ١٢٣٧م، ٦٣٥هـ)، عرّبه عن السريانية ووضع حواشيه الأب ألبير أبونا، مكتبة النور، بغداد، ١٩٨٦م.
١٥. تاريخ الزمان، ابن العبري، غريغوريوس بن أهرن الملطي (٦٢٣ - ٦٨٥هـ)، ترجمته الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
١٦. التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، صبرة، الدكتورة عفاف سيد، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧. التاريخ الصالح، ابن واصل، محمد بن سالم بن واصل التميمي الحموي الشافعي (٦٠٤ - ٦٩٧هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٨. تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، إسكندر، الدكتور فايز نجيب توزيع المكتبة العلمية، المنصورة (مصر).
١٩. تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، غريغوريوس، ترجمة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٠. التاريخ المنصوري، الكشف والبيان في حوادث الزمان، ابن نظيف الحموي، محمد بن علي بن غازي الحنفي الملقب بالأصيل (٥٩٩ - ٦٣٨هـ)، تحقيق الدكتور أبو العيد دودو، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢١. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، الصفي، خليل (٦٩٦هـ - ٧٦٤هـ)، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.
٢٢. تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، الأنطاكي، داود بن عمر (توفي سنة ١٠٠٨هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت.
٢٣. تكملة المعاجم العربية، دوزي، رينهارت بيتر آن (١٨٢٠ - ١٨٨٣م)، ترجمته الدكتور محمد سليم النعيمي، مراجعة جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، طبع في السنوات ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م.
٢٤. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الشيباني البغدادي الحنبلي (٦٤٢ - ٧٢٣هـ)، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٥. جامع التواريخ تاريخ خلفاء چنكيز خان، رشيد الدين الهمذاني، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الشافعي (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، ترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد والدكتور يحيى الخشاب، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٦. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، إيليربي، هيلين، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٢٧. چنگيز خان، الحياة والموت والانبعاث، مان، جون (١٩٤١ - ...)، ترجمة حسن عويضة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة (المجمع الثقافي)، أبو ظبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٢٨. الخنجر اللؤلؤي في الخصرة العبّاسيّة، الهادي، يوسف، أوراق مجمعية، نشرة يصدرها المجمع العلمي العراقي، العدد ٣، السنة السادسة، تشرين الأول، ٢٠٢١م.
٢٩. دول الإسلام، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، تحقيق فهد محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٨م.
٣٠. الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العبّاسي حتى الغزو المغولي، الفقيه، عصام الدين عبد الرؤوف، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣١. ذيل مرآة الرّمان، اليونيني، فُطْبُ الدِّينِ موسى بن محمّد البعلبكيّ الحنبليّ (٦٤٠ - ٧٣٦هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤ - ١٣٧٥هـ، ١٩٥٤ / ١٩٥٥م.
٣٢. زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم، عمر بن أحمد، تحقيق الدكتور سامي الدهان، المعهد الفرنسي، بيروت، ١٩٥١م.
٣٣. السلالات الإسلامية الحاكمة، بوزورث، كليفورد إدموند، ترجمة عمرو الملاح، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م.
٣٤. السلوك لمعرفة دول الملوك، المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر الحنفيّ ثمّ الشافعيّ (٧٦٦ - ٨٤٥هـ)، تحقيق الدكتور محمّد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦.
٣٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، تحقيق جمع من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٩٣م.
٣٦. سيرة السلطان جلال الدين منكبزي، النسوي، شهاب الدين محمّد بن أحمد بن علي المنشئ (توفي سنة ٦٤٧هـ<sup>(١)</sup>)، تحقيق ضياء الدين موسى بونياروف، دار النشر والطباعة (الأداب الشرقية)، موسكو، ١٩٩٦م.

(١) استناداً إلى ابن الوردي في تاريخه: ٢٦١/٢.

٣٧. شدُّ الإزار في حَطِّ الأوزار عن زوَّار المزار، جُنَيْدُ الشَّيرازيِّ، معين الدين أبو القاسم (ألف كتابه سنة ٧٩١هـ، تحقيق محمَّد بن عبد الوهاب قزويني، مطبعة المجلس، طهران، ١٩٤٩م.
٣٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦ - ٦٥٦هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ١٩٥٩م.
٣٩. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، عز الدين العسقلاني، أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الكناني الحنبلي (٨٠٠ - ٨٧٦هـ)، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.
٤٠. صورة الأرض، ابن حَوْقل، محمَّد بن علي النصيبي البغدادي الموصلِي (توفي سنة ٣٦٧هـ)، تحقيق كرامرز، ليدن، ١٩٣٨م.
٤١. العبر في خبر مَنْ عَبَّر، الذهبي، محمَّد بن أحمد، تحقيق الدكتور فؤاد سيد، وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية، الكويت، ١٩٦١م.
٤٢. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الأشرف الغساني، إسماعيل بن العباس بن رسول (٧٦١ - ٨٠٣هـ)، تحقيق شاعر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي ودار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤٣. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، العيني، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (٧٦٢ - ٨٥٥هـ)، تحقيق الدكتور محمَّد أمين، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٤٤. العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، الحسيني، محمَّد باقر، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
٤٥. الفَخْرِي في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، ابن الطَّقَطَقِي، محمَّد بن علي بن طباطبَا العلوي الإمامي (توفي في حدود سنة ٧٢٠هـ)<sup>(١)</sup>، دار صادر، بيروت.
٤٦. فوات الوفيات، ابن شاعر، محمَّد بن شاعر بن أحمد الكتبي الداراني الدمشقي الشافعي (٦٨١ - ٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
٤٧. قلائد الجمان لشعراء هذا الزمان، ابن الشَّعَّار، كمال الدين المبارك بن أبي بكر أحمد الموصلِي (٥٩٥ - ٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤٨. قواعد تفسير الأحلام المسمى البدر المنير في علم التفسير، الشهاب العابر، أحمد بن عبد

(١) استندنا في تحديد وفاته في هذه السَّنة إلى ما حقَّقه الأستاذ علاء الموسويِّ الدمشقي في مقدمته لكتاب المختصر في مشاهير الطالبيَّة والأئمة الاثني عشر لابن الطَّقَطَقِي، ٨٢ - ٨٤.

- الرحمن بن عبد المنعم المقدسيّ الحنبليّ (٦٢٨ - ٦٩٧هـ)، تحقيق حسين بن محمّد جمعة، مؤسّسة الرّيان، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤٩. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عزّ الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيبانيّ (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٥٠. كتاب الحوادث، مجهول، آخر سنة أرخّت فيها الوقائع كانت ٧٠٠هـ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.
٥١. كنز الدرر وجامع الغرر (الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب)، ابن الدوّاداريّ، أبو بكر بن عبد الله (توفي بعد ٧٣٦هـ) بن عز الدين أيّوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، المعهد الألمانيّ للآثار، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.
٥٢. محيط المحيط، البستاني، بطرس بن بولس بن عبد الله (١٨١٩ - ١٨٨٣م)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
٥٣. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٥٤. المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته، الصالحيّ الخياط، علم الدين سنجر المسروريّ (توفي سنة ٦٩٥هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٥٥. المُدَيِّل على الروضتين، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٥٩٩ - ٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٥٦. مرآة الزمان، سبط ابن الجوزيّ، يوسف بن فزّ أوغليّ البغداديّ الحنبليّ ثمّ الحنفيّ (٥٨١ - ٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م؛ كما أقدنا من الطبعة التي أصدرتها مؤسّسة الرسالة العالميّة في بيروت سنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، بتحقيق جمع من أفاضل الأساتذة وأشرنا إلى ذلك.
٥٧. المسيحية والسيّف، دي لاس كازاس، برتولومي (١٤٨٤ - ١٥٦٦م)، وثائق إبادة هنود القارة الأميركيّة على أيدي المسيحيين الإسبان، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانيّة.
٥٨. معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ابن عبد الله الروميّ (٥٧٤ - ٦٢٦هـ)، تحقيق فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.
٥٩. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، دوزي، رينهارت، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، وزارة الثقافة والإعلام العراقيّة، بغداد، ١٩٧١م.

٦٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي الشافعي ثم المالكي (٣٢٩ - ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت.
٦١. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل، محمد بن سالم، (٦٠٤ - ٦٩٧هـ)، تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م، ١٩٧٧م.
٦٢. المورد، البعلبكي، منير (١٩١٨ - ١٩٩٩م)، قاموس إنكليزي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.
٦٣. موسوعة العذاب، الشالجي، عبود بن مهدي بن أحمد البغدادي (١٩٠٠ - ١٩٦٦م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
٦٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي الحنفي (٨١٣ - ٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٦٥. زهة الأنام في تاريخ الإسلام، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاني الحنفي (٧٥٠ - ٨٠٩هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور سمير طيارة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٦٦. زهة المقلتين في سيرة الدولتين العلانية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التاتارية، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي (٥٩٩ - ٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزبيق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٦٧. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكري الشافعي (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري الشيباني الشافعي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٦٩. هذه هي الحرب، بوتول، غاستون (١٨٩٦ - ١٩٨٠م)، ترجمة مروان فتواتي، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨١م.
٧٠. الوافي بالوفيات، الصفي، خليل (٦٩٦ هـ - ٧٦٤ هـ)، تحقيق مجموعة محققين، طبعت أجزاءه في بيروت وفيسبادن في سنوات مختلفة.
٧١. وفيات الأعيان، ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (٦٠٨ - ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨ - ١٩٧٢م.

**ب. الفارسيّة**

٧٢. تاريخ جهانگشا، الجُوئيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن بهاء الدين محمّد بن محمّد (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، تحقيق العلّامة محمّد قزويني، ليدن، ١٩٣٧م.
٧٣. تذكرة الشعراء، دولتشاه السمرقنديّ، ابن علاء الدولة (ألف كتابه حوالي سنة ٨٩٢هـ، تحقيق البروفسور إدوارد براون، ليدن، ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م.
٧٤. جامع التواريخ (تاريخ مبارك غازاني)، رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الهمذاني الشافعي (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، تحقيق محمد روشن ومصطفى موسوي، مؤسّسة ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٦م.
٧٥. روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، البَنّاكتيّ، داود بن محمّد بن محمّد (توفي سنة ٧٣٠هـ)، تحقيق الدكتور جعفر شعار، أنجمن آثار مليّ، طهران، ١٩٦٩م.
٧٦. فرهنگ نصيري، النصيريّ، محمّد رضا ونجله عبد الجميل الطُوسيّ (توفي عبد الجميل سنة ١١٠٤هـ، ١٦٩٣م)، تحقيق الدكتور حسن جوادي وويلم فلور، كتابخانه، موزه ومركز إسناد مجلس شوري اسلامي، طهران، ٢٠١٤م.
٧٧. مجمل التواريخ، الفصيح الخوافيّ، أحمد بن محمّد بن يحيى الباهليّ (٧٧٧ - توفي بعد سنة ٨٤٥هـ)، تحقيق محسن ناجي نصرآبادي، مؤسّسة أساطير، طهران، ٢٠٠٧م.

## *Manuscripts Indexes and bibliographies of publications*

- 
- |     |  |  |
|-----|--|--|
| 425 | Catalogue of the Manuscripts of the Library of the Late Scholar Professor Muhammad Ali al-Balaghi / Part Three and final | Prepared by: Salah Mahdi al-Sarraj / Director of the Center for Manuscript Imaging and Cataloging at The Holy Shrine of al-Abbas (a)<br>Presented by: Dr. Sand Muhammad Ali al-Balaghi<br>Iraq |
| 489 | Index of Al-Ridwan Journal   | Ali Addayy al-husnawi<br>Center for Heritage Revival<br>The Holy Shrine of al-'Abbas (a)<br>Iraq   |
- 

## *Heritage News*

- 
- |     |                    |                             |
|-----|--------------------|-----------------------------|
| 577 | From Heritage News | Prepared By Editorial Board |
|-----|--------------------|-----------------------------|
-

## *Reviewed texts*

- 
- |     |  |  |
|-----|--|--|
| 315 | A Treatise on the Six Relations<br>Between Praise & Gratitude<br>By Muhammad al-Said ibn<br>Muhyi al-Din al-Jazairi (1278<br>AH) | Manuscript Editing by:<br>Professor Dr. Allawi Sadir Jazi<br>Ibn Rushd College of Education -<br>University of Baghdad<br>Dr. Ali hikmat Fadil Muhammad<br>Ibn Rushd College of Education -<br>University of Baghdad<br>Iraq |
| 333 | Wiqayat al-Hidayah<br>By: Sheikh Abd al-Wahhab<br>al-Sharif<br>al-Qazwini (d. 1270 AH)   | Manuscript Editing by:<br>Sheikh Zuhayr al-Hilli<br>Heritage Revival Center - The Holy<br>Shrine of al-'Abbas (a)<br>Iraq  |
| 363 | Licenses (Ijazat) Granted by<br>Sayyid Nimat Allah al-Jazairi<br>(d. 1112 AH) to Mulla uhammad<br>Qasim (fl. 1088 AH)            | Manuscript Editing by:<br>Sheikh Muhammad Lutf Zadah<br>al-Tabrizi<br>Heritage Researcher – Islamic<br>Seminary- Holy Najaf<br>Iran  |
- 

## *Criticism of Heritage works*

- 
- |     |   |  |
|-----|---|--|
| 383 | A Critical Observations on:<br>(Nuzhat al-Udaba wa Tuhfat<br>al-Zurafa by Badr al-Din al-<br>Dimyati) | Professor Dr. Abbas Hani al-Jarrakh<br>Directorate of Education, Babylon<br>Iraq |
|-----|---|--|
-

## *Content*

### *Heritage studies*

- |     |  |   |
|-----|--|---|
| 17  | Abu al-Futuh al-Razi and His<br>Commentary Rawd al-Jinan wa<br>Ruh al-Janan  | Sayyid Muhammad husayn hamid<br>Nadir Murad al-Musawi<br>Islamic Seminary- Holy Najaf Iran                                    |
| 75  | A study of the book<br>(AL-filaha AL-montakhba) and<br>its manuscripts By Taybugha<br>Al-Tamani Tamri (Eighth century<br>AH = fourteenth century AD)                     | Professor Dr. Ammar Muhammad<br>al-Nahhar<br>Faculty of Arts - Department of<br>History - University of Damascus<br>Syria     |
| 117 | Jalal al-Din Menguberdi and His<br>Role in Entrenching the Mongol<br>Invasions in Iraq and Adjacent<br>Regions   | Yusuf al-Hadi<br>Heritage Researcher<br>Iraq  |
| 183 | The Manuscript from Paper-Based<br>to Digital: The National Library of<br>Morocco as a Model   | Dr. Al-Ghali Benhssoum<br>Moulay Ismail University<br>Morocco   |
| 205 | Sheikh Muhammad Mahdi<br>al-Fattuni al-amili al-Najafi (d. 1183<br>AH): His Life, Scholarly Licenses<br>(Ijazahs) & Works  | Prepared by: Ali Laftah al-isawi<br>The High Commission for Heritage<br>Revival - The Holy Shrine of<br>al-'Abbas (a)<br>Iraq |
| 283 | Does the Lignin Compound<br>Play an Inhibitory Role<br>Against Oxidation of Iron-Gall<br>Inks and Cellulose in Paper<br>Manuscripts? A Comparative<br>Experimental Study | Dr. Medeen Hamed Abdel Hadi<br>Mahmoud<br>Faculty of Archaeology – Fayoum<br>University<br>Egypt                              |

lowing regulations:

1. The researcher or reviewer will be informed of delivering the posted material to be published within a period may not exceed the maximum of two weeks.
2. The researchers should be reminded of the publication acceptance of the editorial board within a period may not exceed the maximum of two months.
3. The pieces of research, whose evaluators realize that it should be amended or be added to, will be returned to their writers in order to be organized accurately before publication.
4. The researchers will be informed if their pieces of research are rejected without mentioning the reasons of rejection.
5. Every researcher will be given one copy of the issue in which his research is published, with three separate pieces of research from the same published material and a reward, as well.

• **The journal considers the following priorities in publication:**

1. The date of receiving the research by the editor-in-chief.
  2. The date of presenting the revised pieces of research.
  3. The variety of the research materials as far as possible.
- The published pieces of research express the opinions of their writers and do not necessarily reflect the opinions of the journal.
  - The pieces of research are arranged according to the technical considerations which have nothing to do with the status of the researcher.
  - The reviewer or the researcher who is not known for the journal has to send on the journal email, a brief biographical note, his address and email, for the introductory and documentary purposes on the following email: *Kh@hrc.iq*
  - Editorial board reserves the right to make the required amendments upon the approved pieces of research for publication.
  - The board of editors will chose distinguished researches published in the magazine, and vows to republish them separately.

## *The Publishing Terms*

- The journal should publish the scientific pieces of research that are related to the manuscripts and documents, reviewed texts, direct studies, and objective critical follow-ups which are related to it.
- The researcher should commit himself with the requisites of the scientific research and its rules in order to get benefit from its sources, and be within the frame of the Researchers 'style during discussion and criticism. Otherwise, the examined research or the text will contain certain topics that attempt to raise the feeling of sectarianism or even sensitivity towards any belief, ideology, or sect.
- The research should not be published previously or presented to other means of publication. The researcher is responsible for doing an independent commitment.
- The font should be in (Simplified Arabic). The texts printing size should be (16), and the margins printing size should be (12), and the pages number should not be less than (20).
- The reviewed research or text should be printed on the (A4) type of paper in one copy with a CD. The pages should be numbered successively.
- The research should be presented with its Arabic and English abstracts, each in a separate paper including the title of the research.
- The familiar scientific principles, documentation and references should be taken into account. The documentation should include the name of the source, the number of the part and the page
- The research should be presented with a separate list of references including the title of the source, the name of the author, the name of the investigator or the interpreter if s/he is available, the publishing country name, the place of publication and finally the date of publication. The name of the books and pieces of research should be arranged alphabetically. And if there are foreign references, they should be added separately, i.e. not within the Arabic references
- Researches shall be subject to the scientific deduction program and to a confidential assessment of its validity for publication, and shall not be returned to its owners, whether accepted for publication or not, according to the fol-



*Dr. Abbas Hani Al- Grakh (Iraq)*

*Ministry of Education - Babylon Directorate of Education*

*Dr. Ali Fareg Al- Ameri (Italy)*

*Ambrosiana Library / Milano*

*Collage of Sociology - University of Milano Bicocca*

## *Advisory board*

*Prof. Dr. Sahib G. Abo-Genaaah (Iraq)*

*Collage of Arts - Al-Mustansiriya University*

*Prof. Dr. Tarek Abed Aoun Al Janabi (Iraq)*

*College of Education - Al-Mustansiriya University*

*Prof. Nebeela Abd Al- Munaam (Iraq)*

*Arab Scientific Heritage Revival Centre - Baghdad University*

*Prof. Dr. Ahmed Shawky Benbin (Morocco)*

*Director of Al-Hassania Library at the Royal Palace in Rabat*

*Dr. Saeed Abd Al- Hammeed (Egypt)*

*Director General of Restoring Museums of Antiquities- Ministry  
of Egyptian Antiquities*

*Prof. Dr. Fadhil Al- Beyaat (Turkey)*

*The Research Centre for Islamic History, Art and Culture*

*Prof. Dr. Munther A. Al Muntheri (Iraq)*

*Collage of Arts - Baghdad University*

*Prof. Dr. Waleed M. Al- Seraakbi (Syria)*

*Collage of Arts - Hama University*

***The general supervision***

*His Eminence Sayid Ahmed Al- Saafi*

***Editor-in-chief***

*Sayid Layth Al- Musawi*

***Managing editor***

*Mohammad Al-Wakeel*

***Sub editor***

*Dr. Husayn Al-Sheibaani*

***Editorial board***

*Dr. Ali Habeeb Al- Aedaani*

*Dr. Ammer Mahmoud AL-Kaabi*

*Hasan Arebi Al-Khalidi*

***Art Director***

*Ali Hussien Alwan ALtamimi*

***English Translation***

*Habib AL Zatar\ Lebanon*



*Al- Abbas Holy Shrine*  
*The High Commission for Heritage Revival*  
*The Heritage Revival Centre*

Al-Abbas Holy Shrine. The High Commission for Heritage Revival. The Heritage Revival Centre.

AL-Khizanah : A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts and Documents \ Issued by The Heritage Revival Centre.- Karbala, Iraq : Abbas Holy Shrine, The High Commission for Heritage Revival, The Heritage Revival Centre, 1438 hijri = 2017-

Volume : Illustrations ; 24 cm

Semi-Annual.- The Seventeenth Issue, The ninth year, September 2025- Includes Bibliographies.

Text in Arabic abstract in Arabic and English.

ISSN : 4586 - 2521

1. Manuscripts --Periodicals 2. Periodicals Arabic -- Iraq. A. title.

LCC : Z115.1 .A8378 2025 NO. 18

**Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of  
Al-Abbas Holy Shrine**

You can contact or communicate with the journal via:

00964 7813004363

To explore the issues of Al-Khizana Journal and stay updated with its latest publications, please scan the QR code below.



ISSN : 4586 - 2521

Consignment Number in the Housebook and Iraqi Documents: 2245, 2017

Iraq- Holy Karbala

Post-Office: Holy Karbala P.o (233)

Sale Price

Inside Iraq: 10\$ - Outside Iraq: 15\$



*Al- Abbas Holy Shrine  
The High Commission  
for Heritage Revival*

# *Al-Khizannah*

*A Half Annual Scientific Journal  
which is Concerned with Manu-  
scripts Heritage and Documents*

*Issued by  
The Heritage Revival Centre*

*The Eighteenth Issue, The ninth year,  
Safar 1447 AH - September 2025*



*In the Name  
of Allah the  
Compassionate  
the Merciful*

PRINT ISSN : 2521 - 4586

# *Al-Khizanah*

*A Half Annual Scientific  
Journal which is Concerned  
with Manuscripts Heritage  
and Documents*

*Issued by  
The Heritage Revival Centre*

*The Eighteenth Issue, The ninth year,  
Safar 1447 AH - September 2025*

*for contact:*

*mob: 00964 7813004363*

*web: kh.hrc.iq*

*email: kh@hrc.iq*